الجمهوريـــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العـــالي والبحـــث العلمـــي
المركز الجامعي أحمد ابن يحي تيسمسيلت
معهد الآداب و اللغـات
قسم اللغـة العربـية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي
موسومة ب

جدليـة الفني و الايديولوجي عند خطباء الأحزاب السياسية في عصر بني أمية

من إعداد الطالب:
دهلـي أحمـد

إشراف الأستاذ:
مرسـي رشـيد

أعضاء لجنة المناقشة

	المركز جامعي تيسمسيلت	رئيسا
	المركز جامعي تيسمسيلت	عضوا مناقشا
مرسي رشـيد	المركز جامعي تيسمسيلت	مشرف و مقرر

السنة الجامعية: 1438/1437 – 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

" كلمة شكر و عرفان "

في بداية هذه الكلمات أحمد الله العالي القدير على توفيقه لي في إتمام هذا العمل المتواضع راجياً أن يكون خالصاً لوجهه الكريم ،

كما أخص بالشكر للأستاذ الفاضل " مرسي رشيد " الذي أشرف على تأطير هذا العمل و الذي ساهم في إخراجه في أبهى حله بأراءه السديدة و نصائحه الفاضلة .

والشكر موصول كذلك إلى الأستاذ " بشير دردر " .

والى الأخت الفاضلة "بناني " على مساعدتها القيمة

و عمال مكتب بلدية " تيسمسيلت " الذين أفادوني بالمصادر والمراجع القيمة ولم يبخلوا عليا

إلى كل من ساعدوني سواء من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع

أقول لهم أنتم مداد عقلي و أفكاري لكم مني أسمى معاني الإجلال و التقدير

' شكراً

إهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفيهما حقهما
الوالدان الكريمين

إلى الإخوة الأعزاء

إسلام أمين

الى أفراد العائلة الأفاضل

إلى الأصدقاء

يوسف، رابح، زروق ، حسام ، عابد

إلى طلبة وأساتذة تخصص أدب عربي قديم دفعة

2016 -2017

الى من سقط من قلمي سهوا

أهدي عملي

معاوية بن أبي سفيان

. حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مرة بولايتي، ولكني جالتدكم بسيفي عليها مجالدة، ولقد رضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفارا شديدا، و أردتها مثل ثنيات عثمان فأبت علي فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة مواكلة حسنة ومشاربة جميلة فإن لم تجدوني خيركم فإني خير لكم ولاية، والله لا أحمل ألسيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه، فلقد جعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه فإن أتاكم مني خير فاقبلوه، فإن السيل إذا أزاد أثرى، وإذا قيل أغني، وإياكم والقتنة، فإنها تفند المعيشة، وتكدر النعمة ثم نزل.

1. الخطيب: هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، كان فصيحا، حليما، ولد بمكة واسلم يوم فتحها تولى قيادة الجيش تحت أمرة أخيه يزيد بن سفيان في عهد الخليفة الأول أبو بكر، مؤسس الدولة الأموية سنة 41هـ.

. **المتلقي أو الجمهور المخاطبين**: أهل المدينة المنورة.

حيث أن المتلقين هو جمهور عربي متعدّد الثقافات والمشارب السياسية.

كان فيهم كبار الصحابة من أمثال عبد الله بن العباس وغيره، وأبناء كبار الصحابة كذلك، على غرار عبد الله بن الزبير، وأخوه مصعب بن الزبير والحسن والحسين ابن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، و أما الطبقية الثانية فهم أنصار أو أشياع الحسن والحسين الذين يعتبرونهم أحق بالخلافة وهم الورثة الشرعيون لها، أما الطبقية الثالثة فهم أنصار الحزب الخارجي وهم الذين يعتبرون كل من معاوية ومنافسه المباشر الحسن بن علي على خط

الطبقة الرابعة: هم أنصار معاوية الذين يعتبرون وصوله إلى سده الحكم هو استرجاع للحق التاريخي للأسرة الأموية، وكذلك خدمتا لأغراضهم الشخصية.

مناسبة الخطبة: عام الجماعة، بعد أن خلع الحسن بن علي نفسه وتمت المبايعة لمعاوية بالخلافة سنة 41هـ.

. السياق الداخلي:

. المستوى الاديولوجي.

. المستوى الايديولوجي السياسي.

. الاعتراف بخلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب و عثمان بن عفان، وفي المقابل عدم الاعتراف بخلافة علي بن أبي طالب جملتا وتفصيلا وذلك من خلال قوله:" ولقد رضيت لكم نفسي على عمل بن أبي قحافة، وأردتها على عمر فنفرت من ذلك نفارا شديدا، وأردتها مثل ثنيات عثمان فأبت علي.." يؤكد على عدم شرعية خلافة علي بن أبي طالب من خلال عدم الاعتراف به وذكره فيصلب حديثه عن الخلفاء الراشدين.

. التأكيد على قيامه على رأس المسلمين عنوة وبمنطق القوة والسيف من خلال قوله:" فإني والله ما وليتها بمحبة منكم ولا مسرة بولايتي، ولكن جالدتكم بسيفي عليها مجالدة...".

. عرض نهجه الخاص الذي لا يلزمهم فيه الطاعة عن صدق واقتناع "فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة.".

. المحاسبة على الأفعال دون الأقوال " والله لا أحمل السيف على من لاسيف له، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه، فلقد جعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي...".

المستوى الأسلوبي:

1. الاعتماد على الأشكال الملموسة و المفكّكة النابعة من السياق المباشرين المتكلم والمستمع.

ويتجلى ذلك من خلال اللغة البسيطة الواضحة السهلة، المبتعدة كل البعد عن الأسجاع، حيث أن معاوية لم يعتمد عليها و كأن زخرف الكلام لا يليق بمقامه الجديد الجاد في غايته.

2 . الابتعاد عن المعلومات المضغوطة واستبدالها بمعلومات أكثر تفكك وتفصيلا، ويتجلى ذلك من خلال استحضاره للحجج التاريخية في أسلوب واضح مثل: " التأكيد على أنه حاول السير على نهج كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان، ونفى المشروعية التامة عن خلافة علي بن أبي طالب من خلال عدم ذكره".

. قلة صيغ المبني للمجهول جاء في خطابه معاوية حوالي عشرون فعلا لم يرد منها أي فعل مبني للمجهول، ويرجع ذلك إلى أن معاوية كان صريحا لا يبطن أو يضمر بل يعتمد على الشكل الخالي من التعقيد لكي لا يؤثر على المتلقي.

. الجمل البسيطة المتراوحة بين الطول والقصر: من ذلك قوله:

ولقد رضيت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، و إن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه.

القصيرة: وإذ قيل أغنى واياكم والفتنة، فإنها تفسد المعيشة، وتكدر النعمة.

استخدام حروف العطف: مع ميل معاوية لاستخدام الجمل البسيطة غير المتداخلة فإنه يستخدم أدوات العطف البسيطة، منها الواو والفاء، التي تعد أكثر أدوات العطف استخداما، مع ندرة استخدام حروف الجر فإنه يتواجد حرف واحد مجمل النص الخطابي. وهو "على".

الأفعال الحركية من مثل: رضت، سلكت.

حروف التوكيد "إن" لقد تعدد استخدام حرف التوكيد "إن" ليؤكد من خلاله معاوية على طبيعة السياسة التي يرمي إليها، وحمل الرعية على التحلي بها.

ظهور الضمير: أظهر الضمير المتكلم أي الخطيب الضمير وقدمه على فعله، ليقوم مقام التأكيد، وهو يحمل في طياته كذلك طابع الاستبداد بالحكم، ثم عدل الخطيب عن ضمير المفرد"أنا" إلى ضمير المخاطب "أنتم" وذلك ليجعل هناك مشاركة في الفعل الخطابي بين الخطيب و المتلقين.

. الطبيعة الحوارية للخطابة نجد من خلال هذا الخطابة، لغة حوارية يفترضها الخطيب، حيث يقيم حوارا مع الجمهور من طرف واحد يسأل ويجيب ويفترض وجود شخص يحاوره، ويتجلى ذلك من خلال قوله مثل:" ولقد رضيت لكم نفسي على عمل ابن قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفارا شديدا، و أردتها مثل ثنات عثمان فابت علي، فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة...".

زيادة بن أبيه، حين قدم إلى البصرة سنة 53هـ ،واليا لمعاوية بن أبي سفيان.

أما بعد فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغنى الموفى بأهله على النار، ما فيه، سفاؤكم ويشمل عليه حلماؤكم من الأمور، من الأمور العظام ينبت فيها الصغير، ولا ينجاش عنها الكبير، كأنكم لم تقرءوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول، أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات، واختيار الفانية على الباقية ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث لم تسبقوا إليه: من تركككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله، وهذه المواخير المنصوبة، والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر، والعدد غير قليل ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الذين

تعتذرون بغير العذر و تغتصون على المختلس، أليس كل أمر يمنكم يذب عن سفيهه، منع من لا يخاف

عاقبه ولا يرجو معادا، ما أنتم بالحلماء ولقد ابتعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب، حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما، أني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى والمقيم بالطاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصيوالصحيح منكم في نفسه، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: " اتج سعد فقد هلك سعيد أو تسقيم لي فناتكم".

إن كذبة المنبر بلقاء مشهورة، فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي و إن سمعتموها مني فاعتمزوها واعلموا أن عندي أمثالها من تقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه، فإياي ودلج الليل فإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم وإياي ودعوة الجاهلية فإني لا أخذ داعيا بها إلا قطعت لسانه وقد أحدثتم أحداثا لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه، ومن أحرق قوم أحرقناه، ومن و من نقب بيتا يعبانا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا،فكفوا عن أيديكم وألسنتكم، أكفف عنكم يدي ولساني ولا تظهر على أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه وقد كانت بيني وبين أقوام أحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، فمن كان منكم محسنا فاليزدد إحسانا ومن كان منكم مسيئا فالينزع عن إساءته وإني والله لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من يغضى لم أكتشف له قناعا ولم أهتك له شرا حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره، فاستأنفوا أموركم، وأرعوا على أنفسكم، فرب مسوء بقدومنا ومسرور بقدومنا سنسوؤه.

أيّها النّاس إنا أصبحنا لكم سادة، وعنكم ذادة، نسوسكم، سلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بغيبي الله الذي حولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل والإنصاف فيماؤلين فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمنصاحتكم لنا و اعلموا أني مهما قصرت عنه فلن أقصر ثلاث.

لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابسا عطاء ولا

رزق عن إبانة، ولا مجمر لكم بعثا، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فإنهم ساشكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غنطكم ويطول له خزنكم، ولا تدركوا به حاجتكم، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم، أسال الله أن يعين كله على كل و إذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله، وأيم الله إنّ لي فيكم لصرعي كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون مرعاتي.

الخطيب: هو زيادة بن أبيه وابن سمية، لأنه لم يكن له أب شرعي قيل أنه ولد في السنة الأولى للهجرة، عرف بالدهاء والشدّة منذ الطفولة، فلما شب اسكتبه أبو موسى الأشعري، كما أنه عهد عمرو بن الخطاب عهد إليه بكثير من المهمات وما لبث أن استشار إعجاب الناس حتى قال فيه عمر بن العاص " الله در هذا الفتى لو كان أبوه قريشيا لساق الناس بعصاه.." و كان أبو سفيان حاضرا ، فقال: أنا أعرف أباه، فقال عمرو من؟، قال: أ،ا هو.

لمخاطبين: هو شيعة الإمام علي بن أبي طالب و أولاده من بعده الحسن والحسين... الذين يرون فيهم أصحاب الحق الشرعي الذي اغتصبه كل من معاوية خصوصا و الأسرة الأموية عموما.

مناسبة الخطبة : تولي زيادة بن أبيه ولاية البصرة، والذي كان سنة 53.

السياق الداخلي:

المستوى المضموني الإيديولوجي:

ذكر الحالة التي تردى إليها أهل البصرة، بعد أن انصرفوا عن تعاليم الذين.

تعدد معاصيهم كقهر الضعيف وارتياد المواحير، وإحياء العصبية القبلية و كأنهم لا يرجون عاقبة من الدين.

إعلان العقوبات التي أحدثتها لهم معاصيهم وذنوبهم، وهي الفتك بهم دون مراعاة لصالح أو الطالح العبد أو الحر أو بين مذنب وبرئ.

التأكيد في الأخير على ضرورة إعلان الولاء والطاعة للأسرة الحاكمة والتي هي الأموية.

الخصائص الأسلوبية:

1 . التكرار و يتمثل في تكرار المفردات والتركيب بصيغ مختلفة من ذلك قوله:" الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء..." " السرمدي لا يزول " لين ضعيف وغيرها وكلها تصب في مصلحة إثبات الأمر الذي يدعو إليه وهو العمل على إعادة فرض عمى الطاعة التي فقدها في البصرة.

2 . الأسلوب التجميعي في مقابل التحليل: فالخطيب زياد بن أبيه يشمل بذكر الوقائع " ذكر واقع أهل البصرة بعد أن ضلوا عن كتاب الله، هذا ما أدى بهم إلى إحداث سابقة في الإسلام لم يسبقهم إليها أحد ثم انتقل بعد إلى ذكر العقاب وهذا هاجرته عليهم ذنوبهم ثم يبين مظاهر العقاب ومن هم أحق به.

مظاهر الإطناب: الإسراف في وصف الحالة التي وصل إليها أهل البصرة بعد أن انصرفوا عن تعاليم الذين وعاشوا في غيبهم لا يتقوا فاحشة ، ولا يألون عن منكر.

التأكيد على فرض منطق القوة دون تفريق "لأخذ الولي بالمولى والمقيم بالطاعن و المقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي والصحيح منكم في نفسه ".

نوعية الجمل غياب للجمل الاعتراضية والحالية والوصفية وجملة صلة الموصول وحضور للجمل المعطوفة، "الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء.

والغي الموفى... والعذاب الأليم لأهل معصيته وسدت مسامعه الشهوات، واختيار الفانية على الباقية وسدت مسامعه الشهوات..."

نجد في هذه الخطبة ميلا من طرف زياد بن أبيه لاستعمال الجمل الثانوية بأقل عدد ممكن أو شكل نادر لأنه في مقام التأكيد وليس في مقام الشرح والتبسيط للمخاطبين، وكذلك أنه يحاول أن يفرض منطقه وليس أن يزجهم ليتقبلوا منطقه

أسلوب العرض وطريقته: استهل زياد حديثه من دون أن يتكلم عن الدين ثم رجع وتدارك ذلك من خلال تصوير مفاسدهم وما أحدثوه فيه جازما بأنهم ظلوا وسلكوا نفس مسلك الكفار، ونجد كذلك غياب الاقتباس أو التوكيد من خلال آيات القرآن الكريم كما جرت عليه العادة مع الخلفاء والولاة.

وقد اعتمد على صور تتراوح بين الترغيب والترهيب الذين من خلال تهديده بالفتك دون تميز بين مذنب وبريء.

وختمها بالتهديد كذلك.

طبيعة الأفعال: لقد جرى ذكر حوالي خمسة عشر فعلا وجاءت جميعها مبنية للمعلوم، وغياب تام للأفعال المبنية للمجهول، وذلك من منطلق أن زياد بن أبيه لا يبطن ولا يضمر، وإنما يحاول أن يبرز رسالة واضحة المعالم لجمهور المتلقين.

نوعية الجمل: يميل الخطيب زياد بن أبيه إلى استعمال التراكيب القصيرة والتي من بينها " الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء.

الغي الموفى بأهله إلى النار صافيه سفهاؤكم ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرأو كتاب الله..."

وكذلك التراكيب الطويلة البسيطة " حرام علي الطعام والشراب حتى اسويها بالأرض هدما وإحراقا.

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح به أوله.

حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول...

نوعية الحروف: حروف المشبهة بالفعل، إن والتي غرضها التوكيد، حروف العطف، وعلى رأسها الواو في أكثر من موضع، ثم، حتى، أو.

حروف النهي: لا.

حروف الجزم: لم.

حروف الجر: باء، على، في.

نوعية الضمير: عمد زياد بن أبيه إلى استخدام ضمير "أنتم" وهو في صدد استعراض ذنوب أهل البصر وما أحدثوه في الإسلام، ثم انتقل إلى حديثه بصيغة ضميرا المتكلم عندما أراد أن بين كيف السبيل لإرجاع أهل البصرة إلى جادة الصواب.

وكذلك ضمير الجماعة نحن هو والأسرة الأموية عندما بدأ في حث الرعية على وجوب الطاعة لبني أمية وهي:

الاستغراق في التصوير، انصرف زياد بن أبيه فير وصف الحالة التي تردى إليها أهل البصرة بعد أن انصرفوا عن تعاليم الدين، وكذلك تعداد معاصيهم كقهر الضعيف، والعصبية، وبعد ذلك إعلان

العقوبات التي أحدثها لذنوبهم وهي نتيجة واحدة وهي تتلخص بالفتك بنوع من المبالغة دون تميز بين طرف عن آخر في شيء من المبالغة ولكن دون حافز على المستمعين.

الحجاج بن يوسف الثقافي.

حمد الله وأتى عليه وصلى على نبيه ثم قال:

أنا ابن جل وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة

أما والله إني لا أحتمل الشر بجمله وأخذوه بفعله، وأجزيه بمثله وأني لأرى رؤساء قد أنبعت وحان وقطافها، وإ،ي لصاحبها وإني لأنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى.

ثم قال:

هذا أوان فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

وقال أيضا:

قد لفها الليل بعصبلي أروع خراج من الدوي

مهاجر ليس بأعرابي.

إني والله يا أهل العراق والشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ما أعمر تغماز التين ولا يقعقع لي بالثنان، ولقد فررت عن ذكاء ولقد فتشت عن تجربة وجربت من الغاية إن أمير المؤمنين كب كنانته عجم عيدانها، فوجدني أمرها عودا وأصلبها عمودا فوجهني إليكم فأنكم طالما أو ضعتم في الفتن، واضطجعتم في مرقد الضلال وسننتم سنن الغي.

واضطجعتم في مرقد الضلال وسننتم سنن الغي، أما والله لا لحونكم لحو العصا ولا عصبتكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت مطمئنة يأتيها ررقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وإني والله لا أعد إلا وقيت ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلف إلا خلق إلا قريت، فإياي وهذه الجماعات، وقال وقيل وما تقولون ؟ وفيم أنتم وذاك ؟ أما والله لسقيمن على طريق الحق، أو لأدعن لكل رجل منكم شغله في حسده وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطيائكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوة مع المهلب بن أبي مفرة، وأني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه ثبلات أيام إلا ضربت عنقه وأنهيت ماله وهدمت منزله.

الخطيب: هو الحجاج بن يوسف من قبيلة ولد بالطائف سنة41هـ أيام معاوية ونشأ فيها، بدأ نجمه يلمع ويتألق عندما ولي الشرطة لأنه حملها على الانضباط والطاعة حاصر مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق في الموقعة الشهيرة تولى في عهد عبد المالك بن مروان ولاية العراق.

جمهور المخاطبين: هم أهل الكوفة المعروفين بولائهم لعلي بن أبي طالب وأولاده الحسن والحسين... وكذلك لعبد الله بن الزبير وكرههم الشديد للأسرة الأموية.

مناسبة الخطبة: وما لبث أن ولاه عبد الملك على العراق بعد أن اشترى أمر الفساد فيها فسار من المدينة إلى الكوفة، ومعه اثنا عشر راكبا على النجائب.

السياق الداخلي:

المستوى المضموني الإيديولوجي:

فرض عصى الطاعة والانضباط على أهل الكوفة، من خلال التسليم دون إرادة، مسلطا في ذلك كله سيف الهول والتقتيل، لا تعطفه شورى ولا يزعه وازع دلني على استحلال المحرمات وانتهاك المقدّسات.

الخصائص الأسلوبية:

التكرار: تكرار على مستوى العبارات " معدن الشقاق والنفاق، مساوئ الأخلاق "

طالما أوضعتم في الفتن...وسننتم سنة الغي.

نوعية الأسلوب: أسلوب جزء من الكل: حيث ابتدأ الحجاج بتعريف نفسه وليس تعريفا من حيث النسب، ثم ينتقل إلى أهل الكوفة يغشاهم بالتهديد حتى تبدت له الرؤوس وكأنها الثمر اليانع الذي حان أن يقطفه، وإلى بلغ به الحد حتى أن يتوهم أنه يرى الدماء تترقرق بين العمائم واللحى.

وقد مال في تصوير ذلك عن طريق النزعة التخيلية التي تبرز كثير في أبيات الشعر.

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا حتى أضع العمامة تعرفوني.

وفي تصوير نفسه سائقا حطما ليس بجزار ولا براع ليرحم الإبل، بل يسوقها أمامه دون شققة...

الأسلوب الإطنابي: لقد تميّزت خطبة الحجاج بنوع من الإطناب خاصة في تصوير نفسه، فلقد عمل على تصوير نفسه في بداية الخطبة ثم عمل على تصوير

نفسه في متن الخطبة من خلال تبيان أنه أمر عودا من بين الولاة الذين يوجدون تحت أمرة عبد الملك.

الإطناب في تصوير أخلاق أهل العراق "...يأهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق...طالما أوضعتم في الفتن، وسننتم من الغي".

نوعية الجمل: استعان الحجاج في ثنايا هذه الخطبة بالجمل الوصفية على سبيل **المثال المعطوفة**: ومعدن الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، وانتهبت ماله...مع غياب للجمل الاعتراضية والوصفية والتفسيرية: لأنه في مقام التأكيد وليس في مقام الشرح والتفسير.

طبيعة الافعال :

عمد الحجاج بن يوسف الى استخدام الافعال المضارعة منها قوله انظر ,ارى, قشت , اضربنكم , يقولون , انتبهت .

كلها أفعال تحمل في طياتها دلالة على الحركة .

طبيعة الحروف :

حروف العطف : حرف الواو , ثم , او .

حروف الجر : من , عن , الى .

حروف التوكيد : وهي على قسمان :

حروف القسم : والله .. وايم .

الحروف المشبهة بالفعل : ان , أن .

نوعية الضمير : استخدام في هذا الصدد الحجاج بن يوسف .

ضمير المتكلم "انا" عندما تحدث عن نفسه ويتجلى ذلك في الابيات الشعرية بقوله :

انا ابن جه وطلاع الثايا .... متى اضع العمامة تعرفوني .

ضمير الجماعة "انتم" في معرض حديثه عن اهل العراق ومساوئهم .

مقدمة .

تعتبر الصراعات بمختلف أنواعها مظهرا من مظاهر الحياة و الأمة العربية على غرار الأمم الأخرى،شهدت عبر عصورها المختلفة جملتا من الصراعات كان لها مخلفتها البارزة على جميع مناحي الحياة . فكان العصر الجاهلي صراعا لإثبات الذات أو الوجود . وبعد ذلك العصر الإسلامي الذي تجلى فيه الصراع العقائدي بين الإنسان الجاهلي ، والإنسان المسلم المتشبع بروح جديدة الذي انتهى بحسم هذا الصراع من طرف هذا الأخير . مرورا أو وصولا إلى عصر بني أمية الذي شهد نوع مختلف من الصراعات لم يشهدها المجتمع العربي من قبل. كانت الخلافة فيه أو الإمامة فيه هي سيدة الموقف . أدت إلى نصب العداوة بين أبناء العمومة وغيرها من الشرائح المكونة للمجتمع الأموي .

هذا الصراع الذي كان له تداعيات على جميع مناحي الحياة ، حتى الحياة الأدبية لم تسلم من تلك التداعيات فكانت الأدب سلاحا على غرار بقيت الأسلحة . ومن جملة فنون الأدب التي جعلتها الأطراف المتنازعة سلاحا يضاهي السيف أو يتجاوزه، نجد الخطابة التي جعلها كل طرف بمثابة الوعاء الناقل لمختلف إيديولوجيته السياسية أ و الدينية وغيرها مما كان له أثر البارز على تطورها ونموها . في أسلوب يراعي حرمت الأساليب الفنية التي جبل وطبع عليها الإنسان العربي منذ العصور السالفة .

فمن هذا الأساس جاء عنوان مذكرتي ليبرز بعض مظاهر الجدلية القائمة بين الفني و الإيديولوجي عند خطباء الأحزاب السياسية في هذا العصر وكانت موسوما ب" جدلية الفني والإيديولوجي عند خطباء الأحزاب السياسية في عصر بني أمية " .

وقد كان دافعي لاختيار هذا الموضوع نابعا من شغفي بتاريخ الأمة الإسلامية بمختلف عصورها وعلى الأخص العصر الأموي وما يحتويه من قضايا تثير لاهتمام على جميع الأصعدة خصوصا الأدبية.

وبغية الولوج إلى صلب الدراسة تحتم علي طرح جملة من التساؤلات :

ما هي الايدولوجيا ؟

وما هي الجوانب المتعلقة بها ، هل هي تمس جوانب الحياة اليومية ؟ أم تقتصر على جانب معين ؟

ما هي طبيعة الحياة السياسية في عصر بني أمية ؟

وما الأحزاب التي تشكل نواة هذا الصراع السياسي ؟ وما هي مختلف الإيديولوجيات التي تحملها بين جوانبها ؟

وما هي الأدوار التي كانت تلعبها الخطابة في حياة الإنسان العربي عبر عصوره المختلفة .

.ماهي العوامل التي أدت إلى انتشار الخطابة في عصر بني أمية ؟ وهل حافظت على جماليتها الفنية المعهودة على الإنسان العربي ؟ أما أن المعطى الإيديولوجي لكل حزب من الأحزاب المتصارعة جعلها تنحى عن المنحى الجمالي المعهود .؟

وما إلى ذلك من التساؤلات المثيرة للجدل .

وللإجابة عن جملة التساؤلات المطروحة تطرقت في ذلك إلى الخطة التالية. مقدمة ومدخل وثلاث فصول وخاتمة ،أما المقدمة فكانت محطة لعرض أهمية الموضوع ودواعي اختياره والخطة التي سار وفقها هذا العمل والمنهج المتبع وأهم الصعوبات التي اعترضت سبيل العمل وأهم المصادر المعتمدة فيه

وأما المدخل فتطرقت فيه . إلى معنى الايدولوجيا لغة . و المحطة التي تصادفت مع ظهورها . وأنواع الفهم التي شهد ته في أشهر المجالات الواقعي والعلمي واليوتوبي وفي الأخير تطرقت إلى علاقتها بالأدب . وأما الفصل الأول فتطرقت فيه إلى طبيعة الحياة السياسية وعملت على تحديد الأحزاب السياسية الرئيسية المتصارعة فيه ومختلف الإيديولوجيات القائمة على أساسها. وقد احتوى على

أربعة مباحث 1- الحزب الأموي 2- الحزب ا لخارجي 3- الحزب الشيعي 4 الحزب الزبيري، وفي الفصل الثاني والذي كان عنوانه الخطابة في التراث العربي حاولت من خلا له إبراز تأثير تغير المعطى الإيديولوجي في كل عصر من العصور السابقة لعصر بني أمية على الخطابة فتطرقت في المبحث الأول إلى الخطابة في العصر الجاهلي ودواعي الاستعانة بها . كما حاولت الإلمام بأبرز وأشهر أعلامها .أما في المبحث الثاني فعرجت للحديث عن الخطابة في عصر صدر الإسلام أي مع النبي صلى الله عليه وسلم وحاولت إبراز كيف كان للصراع العقائدي بين الإنسان الجاهلي المتمسك بوثنيته والإنسان المسلم المتفتح على عوالم روحية جديدة . الأثر البارز في تطورها مع محاولة الكشف عن مدى تأثير الوحي الإلهي – القرآن الكريم – فيها . وأما المبحث الثالث فكان للحديث عن الخطابة في عصر الخلفاء الراشدين - أبو بكر ، والإمام علي بن أبي طالب – كنموذجين والى أي مدى كانت الخطابة حاسمة معهما في المواقف الحاسمة على غرار حادثة السقيفة مع أبي بكر . وأما المبحث الرابع فقد خصصته للحديث عن الخطابة في عصر بني أمية مع الحديث عن أهم العوامل التي ساهمت في تطورها وأبرز الخطباء المتحزبين الذين عملوا جل ما في وسعهم على تبرير مختلف الإيديولوجيات للأحزاب التي يدافعون عن لواءها،وكذلك الخصائص الفنية التي طبعتها .

وأما الفصل الثالث : فكان تطبيقي لجملة من الخطب المختارة لكل حزب . من أجل الكشف عن الجدلية القائمة بين الفني والإيديولوجي عندهم واستعنت في ذلك بالمقاربة التحليلية ،والتي كانت مبنية على الشكل الأتي حيث عملت على تحديد عناصر العملية الخطابية في إطار السياق الخارجي وركزنا من خلا لها على ثلاث نقاط رئيسية وهي1- الخطيب باعتباره منتج الخطاب والقائم بالعملية الخطابية الأول ، و تحديد مدى انعكاس شخصيته وفكره على الخطابة . وتحديد العلاقة بينه وبين جمهور المتلقين . وكذلك تحديد سياسة الخطيب وإيديولوجيته وأفكاره التي يتبنها على اعتبار أنه جزء من منظومة حزبية حيث أنها عوامل تساهم كلها في تشكل اللغة وتعمل على تحديد طبيعتها ومضامينها .وأما النقطة الثانية فعملنا على تحديد طبيعة المتلقي على

اعتباره العنصر الثاني في العملية الخطابية والذي أعد ت من أجله الخطابة ويعمل الخطيب على مراعاة منزلته الاجتماعية وثقافته ومعتقده ومستواه ونوعه وعلاقته به وأما النقطة الثالثة فهي تحديد المناسبة التي أعدت في ضوءها الخطبة ومدى تأثيرها في تشكل السياق اللغوي .

وأما على المستوى الداخلي فعملت على تحديد المستوى المضموني الإيديولوجي الذي تحويه كل خطبة تم عملت على تحديد خصائص الأسلوب وركزت فيه على جملة من النقاط . وهي أولا التكرار وتحديد مواطنه سوء على مستوى الجمل أو الألفاظ أو الأدوات. لتحديد المعاني التي يحرص الخطيب على التأكيد عليها لجمهور المتلقين في ضوء النسق الإيديولوجي

أما الأمر الأخر فهو العمل على تحديد طريقة الأسلوب وطبيعته الذي تبناه الخطيب في عرض المعطى الإيديولوجي. هل انتهج الأسلوب التجميعي أم التحليلي الوصفي في طريقة بث المعطيات ؟وهل اعتمد على الأسلوب الإطنابي أي الإطالة والاستغراق في الوصف والتصوير أما اتسم بالإيجاز ؟ وتحديد طبيعة اللغة هل نابعة من السياق الذي يجمع بين المتلقي أو الخطيب؟ أم أن الأمر على عكس ذلك ؟ والأمر الأخر هو تحديد طبيعة الأفعال . هل هي مبنية للمعلوم؟ أم للمجهول ؟و تحديد الغرض من وراء ذلك.

وتحديد نوعية الجمل هل هي طويلة أو قصيرة معا العمل على تحديد طبيعتها هل نجد الجمل الاعتراضية أو التفسيرية

وكذلك تحديد طبيعة الحروف والعمل على تحديد دورها .

وكذلك تحديد نوعية الضمير هل طغى ضمير المتكلم ؟ أم نجد أثرا لضمير الجماعة وتحديد دلالة ذلك .وكذلك تحديد طبيعة الخطابة هل هي ذات نزعة حوارية أم ذات نزعة تفر دية . وفي الأخير خاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها .وقد استعنت في ذلك بالمنهج الوصفي التحليلي

وكأي بحث اعترضت سبيله جملة من الصعوبات وذلك نابع من طبيعة البحث والموضوع والمادة العلمية والتي يتطلبها وصعوبة السبك والربط بين المعارف و وقد استعنت في سبيل تذليل الصعوبات بجملة من المصادر والمراجع من أهمها .فن الخطابة وتطوره عند العرب إيليا الحاوي . تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف.الجامع في تاريخ الأدب حنا الفاخوري، نصوص من الأدب الأموي لحسين أحمد عطوان لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال محمود عكاشة .

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بشكر الخالص إلى أن أتقدم بشكر الخالص للأستاذ المشرف – مرسي رشيد – الذي ساعدني في تذليل الصعوبات التي اعترضت سبيلي

دهلي أحمد

الايديولوجيا لغة :

يعود أصل مصطلح الايدولوجيا إلى "الجذور اللاتينية وهو مركب من قسمين تعني الفكرة ولوجيا وتعني علم .وبذلك فهو يدل على معنى علم الفكرة أو علم الأفكار" [1]

الايديولوجيا اصطلاحا :

لقد ظهر هذا المصطلح للمرة الأولى مع" المفكر الفرنسي " د ي ستوت دي تراسي " وذلك من خلال كتابه " مشروع عناصر الايديولوجيا ". وكان ذلك سنة 1802 "[2]. ولقد تصادف ذلك مع المخاض العسير الذي كانت تعيشه أوروبا على وجه العموم وفرنسا على وجه الخصوص على جميع المستويات خصوصا المستوى السياسي .

ولقد انطلق هذا الأخير في بناء تصوره لمصطلح الايديولوجيا من جملة مفاهيم أو منطلقات ." حيث نفى عنه أي علاقة بعلم المتافزيقيا أو غيره من العلوم .كما عمل على التأكيد على استقلاليته . ولكنه في مقابل ذلك يرى أنه علم لاتقوم له قائمة بحد ذاته وإنما هو علم شارح أو مبعد علم أي كعلم للعلم وقد ذهب أنه قادر على التميز أو تفسير من أي جاءت العلوم الأخرى وعلى تقدير أسباب علمي للفكر "[3]من خلا ل هذا القول يتضح لنا أنه دي ستوت أعطى بعد شموليا لمصطلح الايدولوجيا فصار يمس جميع مناحي الحياة اليومية . السياسية، الاقتصادية ، الاجتماعية...

والمتأمل لهذا المصطلح يجد كذلك أن دي ستوت حاول تتبع أفكار الأساسات إلى جذورها الأولى .

1.سليم بركان ،النسق الإيديولوجي وبنية الخطاب الروائي دراسة سوسيو بنائية لرواية ذاكرة الجسد ،مذكرة ماجستر 2003 2004،ص18

[2].ديفيد هوكس ،الإيديولوجية، تر إبراهيم فتحي ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2000 ، ص 45 46

[3]. نفس المرجع.ص47

ولكن مصطلح الايديولوجيا لم يحتفظ بالمعنى التاريخي الذي أوجد له مع المدرسة الفرنسية الممثلة في المفكر دي ستوت " بل تمت استعارته من قبل المدرسة الألمانية . والتي ضمنته معاني أخرى . هذا الانتقال أفرز نوعا من الخلط المعرفي . وأنتج جملة من المصطلحات أثناء عملية الترجمة على غرار الترجمة للغة العربية الذي شهد جملة من المصطلحات على غرار منظومة فكرية عقيدة ذهنية...."[1]

أنواع الفهم الإيديولوجي 2

-الايديولوجيا والواقع : يعتبر كارل ماكس من الذين أعطوا لمصطلح الإيديولوجي في إطار حقل المعرفة الإنسانية بعدا اخر حيث يعود إليه الفضل في بلورة المعاني المتداولة وذلك من خلال فلسفته حيث احتلت الإيديولوجية مركزية التصور في بناء تلك الفلسفة .و إلى جانب ذلك شكلت مفاهيم" الصراع والطبقة والحياة المادية والروحية وعلاقات الإنتاج والبنية الفوقية والتشكيلة الاجتماعية "[2] جملة من المفاهيم التي تبلورت حولها الأطروحات العامة التي تشكلت معها الفلسفة الماركسية .

ولقد أسهمت جملة من الأسباب ساعدت كارل ماكس في بلورت تصورته حول فلسفته على العموم ومصطلح الايديولوجيا على وجه الخصوص .

فلقد استفاد من الفلسفة الهيغلية المنبثقة من المورث الفلسفي التقليدي . والتي عمل على نقدها " حيث عمل على تبيان أن اليسار الهيغلي كان في أثناء نقده لنظام السياسي والثقافي في ألمانيا لا يعير أولا يعطي أي اهتمام للواقع ويرون من ذلك مجرد ضجيج إيديولوجي ولقد رأى كارل ماكس أنهم يعملون على تشويه الواقع ولا ينتبهون تماما إلى التغيب الذي يمارسونه وهم يركبون

[1].عبد الله العروى ،مفهوم الايديولوجيا،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط8 ،2012،ص9

[2]. كمال عبد اللطيف ، المعرفي ،الأيديولوجي ، الشبكي تقاطعات ورهانات ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،بيروت لبنان ، ط1، 2012،ص1

تصوراتهم لإيديولوجية " [1]من خلا ل هذا القول نجد أن كارل ماكس بنى تصوره لمفهوم الايدولوجيا الواقعي على منطلق نقدي لمفهوم الايديولوجيا المتداولة عند أصحاب الفلسفة الهيغيلية.

والتي عمل في مقابل ذلك على تخليصها من المعتقدات السائدة . من خلا ل العمل على ربطها بشروط اجتماعية وتاريخية واقتصادية تحكم المجتمع وتوجهه وفق حركة تعمل على تطور المجتمع

كما عمل كارل ماكس على جعل المجال المعرفي للايدولوجيا يتحدد على ضوء مباحث الدراسات الاجتماعية وعلى هذا الأساس يعد كارل ماكس أول من استعمل مصطلح الايدولوجيا في مجال علم الاجتماع .

وذلك من خلا ل مقال بعنوان" الإيديولوجيات وطبقات المجتمع والذي عمل من خلا له على توضيح تصوره لنشأة الأيديولوجية وبروزها من خلا ل حركة الحياة الاقتصادية والاجتماعية لطبقات المجتمع "[2] من خلال هذا القول نجد أن ماكس انطلق كذلك في تحديد مفهوم الايدولوجيا خلا ل العلاقة القائمة بين الفكر والواقع في جميع منا حي الحياة اليومية . وجعلها قناعا يخفي أساسا ماديا معينا. حيث يرى" كارل ماكس أن علاقة الإنتاج تعد الروح الفعلية الصانعة للوعي بمختلف أشكاله المتنوعة في حقب التاريخ المختلفة" [3]. من خلا ل هذا القول نجد أن كارل ماكس عمل على ربط الايديولوجيا والصراع التاريخي . أي الصراع الطبقي الذي كانت في عهده الطبقة المسيطرة هي الطبقة البرجوازية المالكة لوسائل الإنتاج وبالتالي هي الطبقة المنتجة لإشكال الوعي المختلفة . وهذا ما يجعل الطبقة التي تفقد وسائل الإنتاج والتي عرفت بمصطلح البروليتارية تخضع بالضرورة لأفكار الطبقة البرجوازية .

2- الايديولوجيا والعلم

---

[1] نفس المرجع ،ص 105

[2]. جنات بلخن ،السرد التاريخي عند بول ريكور ،منشورات الاختلاف ،وزارة الثقافة الجزائر،دط ،2013 ،ص 13

[3]. ، نفس المرجع ص 140

لقد شهد مصطلح الايديولوجيا مع الفيلسوف الفرنسي التو سير تغيرا جذريا في نمط الفهم . حيث أنه أعطى لها بعدا اخرا والذي تأتى له من منطلق قراءته للموروث الضخم الذي تركه كارل ماكس في هذا المجال وخصوصا "مؤلفه المهم المعنون الرأسمال . وكذلك دراسته عنه في نصه المعروف من أجل ماكس . وكذلك محاولته البحثية التي تناول فيها الايديولوجيا وأجهزه الدولة التي نشرها في كتابه مواقف "[1] من خلال هذا نجد أن التو سير بني تصوره على للايديولوجيا على مشروع كارل ماكس لكن من منظوره الخاص .

فإذا كان كارل ماكس ربط بين الايدولوجيا والواقع وجعلها الفكرة القائمة عليها تصوره فعلى النقيض من ذلك تماما التوسير فلقد ربط بين" الايديولجيا والعلم ويرى بأنها نسق له منطقة ودقته الخاصيتين من التمثلات... " [2] محاولا في ذلك الصدد إبراز كنقطة أولى أن الأمر لا يتعلق بالحقيقة والواقع . وأما النقطة الثانية التي يراها أن الأمر لا يتعلق بين الحقيقة والجهل .

وذلك حسبه أن الايديولوجيا في تصوره ليست معرفة . وكذلك أن وظيفتها أو دورها العملي الاجتماعي ، يتجوز وظيفتها المعرفية . نجد من خلال هذا القول كذلك أن التوسير عمل على الربط بين الايديولوجية والعلم ولكن هذا ليس في سبيل هدم مشروع أو العمل على نقده، وإنما محاولة منه في سبيل رفع اللبس والغموض الذي تركه كارل ماكس نتيجة الاضطراب الفكري الذي حصل لدى المتلقين في فهم ما جاء به هذا الأخير .أو بعبارة أخرى هو العمل على إكمال مسيرة كارل ماكس .

ولم يبن التوسير مشروعه على المعطيات المستقاة من موروث كارل ماكس وفقط وانما استندا على جملة من المعطيات من أبرزها .

---

[1]. المرجع نفسه ، ص 142

[2]. المرجع نفسه ،ص 144

حيث اعتبر التوسير أن الايديولوجبة ضرورية في الحياة . ورغم مناداته بثنائية العلم والمعرفة إلا انه " يبعد تماما عن التمثلات الإيديولوجية فهو يرى أن وظيفتها لا أن تقدم معرفة صحيحة خصوصا على مستوى البنيات الاجتماعية . وإنما وظيفتها أن تنظم الناس في إطار نشاطاتهم العلمية "[1] من خلا ل هذا القول نجد أن التوسير يسير دائما في نفس الركب الذي سار عليه كارل ماكس ولكن من منظوره الخاص حيث يعطي الأولوية لتمثل الإيديولوجي للمجتمع على حساب التمثل الإيديولوجي للعلم والمعرفة . وأن العلم مجرد تقرير لحقيقة متجلية فحسبه أنه" ممارسة نظرية منتجة للمعارف والإنتاج فيها عبارة عن تحويل وتركيب أي عملية بناء" [2]. من خلا ل هذا القول نجد أن مساهمة التوسير عملت على بناء تصور ماركسي ولكن من خلا ل فكر مختلف اختلافا جذريا مبني على ثنائية الايدولوجيا والعلم

3- الايدولوجيا واليوتوبيا .

من المنظرين الذين أعطوا لمفهوم الايديولوجيا بعدا آخرا يختلف اختلافا جذريا عما سبقه من المفاهيم . نجد "كارل مانهايم وذلك من خلا ل كتابه" الايدولوجيا واليوتوبيا " الذي يعتبر من المصنفات الكلاسيكية في مجال التفكير الطوباوي الايديولوجي حيث يرى من خلاله أ نهما يرومان تجاوز الواقع .

وقد استند مانهايم "في علاقته الثنائية انطلاقا أو اعتماد على الإرادة الإنسانية وأدوارها في النفي والتجاوز."[3]

[1].كمال عبد اللطيف ، المعرفي ، الأيديولوجي ، الشبكي ،ص 109
[2]. نفس المرجع ، ص 111
[3]. عبد الله العوري ، مفهوم الايديولولجيا ،ص 46.47

ومن المنظرين الذين كانت لهم نظرة واضحة وإسهاما جلية في هذا الصدد بالموازاة مع مانهايم . نجد بول ريكور الذي نشر مجموعة من المحاضرات والتي ألقاها في هذا المجال في أحد الجامعات الأمريكية . وقد انطلق في مقاربته – الايدولوجيا واليوتوبيا – مستندا أو معتمدا على القراءة الفلسفية لأعمال كارل ماكس وكارل مانهايم على التوالي وذلك في محاولة منه للوقوف عل بعض مظاهر الاختلاف والائتلاف بينهما في الوقت نفسه .

وانطلق في ذلك من خلا ل التأكيد على أن "الجامع الأساس بين الايديولوجيا واليوتوبيا يتأتى من كونهما يستوعبان تجليات المتخيل الاجتماعي.."[1]

ولقد عمل على بناء تصوره للمفهوم الذي يصبو إليه من خلال ثلاثة مستويات .

أما المستوى الأول عمل من خلا له على" إبراز أن دلالة اليوتوبيا تعمل على إتمام المعنى الأساسي للايدولوجيا . معتبرا أن اليوتوبيا تعمل على وضع الواقع موضع السؤال ثم العمل على إيجاد حلول أو إجابات تعبر من خلالها عن الطموحات الإنسانية المنتجة تحت قيود الواقع ... إلى تركيب متخيل يسمح بتجاوزه " [2] إن المتأمل لهذا القول يجد أنه يرى بأن اليوتوبيا والايديولوجيا وجهان لعملة واحدة يعملان على تأدية دور موحد .لكن بفرق جلي وواضح هو أن اليوتوبيا يمكنها تجاوز الحيز الجغرافي والمكاني للإنسان . خارج عن الايديولوجيا أي أنها خارج يقابل الداخل الواقعي الذي تعلقه الايديولوجيا حيث أن بول ريكور من خلا ل هذا عمل على إبراز بعض ملامح العلاقة بين الايديولوجيا واليوتوبيا .

[1].بول ريكور ، محاضرات في الايديولوجيا واليوتوبيا ،تر فلاح رحيم دار الكتاب الجديدة بيروت ص 67
[2].نفس المرجع ،ص 68

أما المستوى الثاني فقد عمد بول ريكور من خلا له إلى كتاب كارل مانهايم المعنون ب " الايديولوجيا واليوتوبيا " حيث حاول العمل على عرض بعض أحكامه ومناقشتها حيث يشير إلى أن اليوتوبيا عن خيال اجتماعي مقرون بالواقع.

والأمر الثاني الذي أشار إليه من خلا ل استقرائه لعمل مانهايم هو الطاقات الهائلة التي تولدها اليوتوبيا في مجال التغير ، فهو يرى "بأنها تدفعنا إلى المغامرة بتملك فضاء متخيل ومختلف عن أمكنة الواقع .هذا الفضاء القائم على جملة من المعطيات النظرية التي الفكر قادر على تزيف الواقع بل أكثر من ذلك بل هي قادرة على تغيبه... ومن ذلك حسبه جاء الطابع ألاحتقاري الذي يمارسه الطوبي والعقل اليوتوبي على العقل الاجتماعي "[1]. من خلال هذا القول نجد أن بول ريكور يرمي إلى أن اليوتوبيا لها الكلمة والسلطة العليا على الواقع الاجتماعي . ومن منطلق ذلك فهي تمارس بما يعرف السلطة الاحتقارية على المجتمع.

أما بالنسبة للمستوى الثالث فيرى أنه إذا كانت الإيديولوجية بإمكانها استيعاب جملة من الصفات السلبية مثل التشويه والوهم والخداع . فان اليوتوبيا يمكنها كذلك القيام بنفس الدور لكن من منظور مخالف " فان اليوتوبيا تعمل بدورها على تغيب الواقع لتحقيق تخطيطا ت متخيلة لا يمكن تحققها... ولكن هذا لا ينف عنها بأي حال من الأحوال صلته بالتاريخ ... فهو يرسم أصلا في أن تشكل اليوتوبيا وتكون صورها .. يقلص المسافة بين الواقع والمأمول في الذهن"[2] .

ومن هذا المنطلق آو الأساس نجد أنه عمل على رصد مابين الايديولوجيا واليوتوبيا من علاقات الائتلاف . وكذلك لم يغفل التحدث عن ما بينهما من تقاطع في دائرة مايسميه الخيال الاجتماعي . هذا الخيال الذي يقوم على التواتر بين وظيفة الادماج الايديولوجي ووظيفة الهدم اليوتوبي من منطلق أن الصورة التخيلية فيهما معا .

---

[1] جنات بلخن ، السرد التاريخي عند بول ريكور ،ص 146

[2] بول ريكور ، محاضرات في الايديولوجيا واليتوبيا' ص 71

وعمل كذلك على تحديد دورهما حيث يرى أن وظيفتهما تكمن في " ملىء الفراغات في التمثل الانعكاسي في الايدولوجيا . والرسم المتخيل والمتوقع في اليوتوبيا أي انها تعوض الفراغ بأمر متخيل يحيل إلى أمر ممكن ".[1]

علاقة الأدب والايديولوجيا :

على اعتبار أن الأدب هو انعكاس للحياة بمختلف مناحيها . ومن هذا الأساس يرى عمار بلحسن" الأدب هو نتاج إيديولوجي ،يتواجد في علاقة مع اللغة ومختلف أشكال استعمالها ،فهو نتاج لا يوجد إلا بالعلاقة مع ايديولوجيا ومع التاريخ ، تاريخ التشكيلات الاجتماعية وتاريخ الإنتاج الأدبي وتطور أدواته وتقنياته الأساسية ومواد عمله "[2] من خلال هذا القول نجد أن الأدب هو الايديولوجيا والايديولوجيا هي الأدب آي أنهما وجهان لعملة واحدة .لا وجود لأحدهما دون الأخر

ومن هذا المنطلق فأن الموضع الذي يتحدد فيه الربط بين الإنتاج الأدبي والإيديولوجي يتمركز في شكلين وهما الاقتصادي والإداري فهي " أطروحة تفيد أن العلاقة بين البنية التحتية والفوقية هي علاقة انعكاس باهت غير فاعل والي والأدب من هذا المنظور يصبح شكلا إيديولوجيا ..."[3] إن المتأمل لهذا القول يجد أن الإنتاج الأدبي ما هو إلا انعكاس ايديولوجي للموقع الطبقي الذي يمثله أو ينتمي إليه الكاتب . وأن الأدب إنتاج إيديولوجي وواقع مادي يتحدد بالممارسة الاجتماعية والسياسية للمجتمع .

[1] .نفس المرجع ص 73
[2].عمار بلحسن ، الأدب والايديولوجيا ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، دط،1984،ص92
[3]. نفس المرجع ،ص93

المبحث الأول : الخطابة في العصر الجاهلي

لما كان العرب في جاهليتهم قبائل متبدية ،لايربطها قانون ولا تنظمهم حكومة في" صحراء يضيق جوفها على أن يمد لقطانها من أسباب العيش غير مكان يعيش عليه الفرسان ينكبون أقواسهم ويعلقون كنناتهم فيؤوبون بصيد ...أوقد يفوتهم مأملوا فلا يجدوا لهم بدا من أن يجعلوا هدفهم أخالهم يفتكون به " [1]هذه الحياة التي يعيشونها التي لا تعرف من معاني الحياة سوى الفروسية التي تمجد قوة الساعد وتقدس قانون الغلبة أو البقاء للأقوى، كانت الغارات فيها تشن لأوهى الأسباب – وحرب الداحس والغبراء اصدق مثال –وفي مقابل ذلك توقع الغارات على الدوام ، وفي خضم هذه الحياة المبنية على التنازع الدائم والمستمر كانت الخطابة أكثر من ضرورية تصحب" المقاتلين في غمار المعارك وتسهم في رسم ملامح البطولة إلى جانب السيف وتساعد في وضع أكاليل الغار على رؤوس الأبطال، كما تعمل على إلحاق الذل والعار بالمنكسرين "[2]من خلال هذا القول نستشف الدور الكبير الذي كانت تلعبه الخطابة في تحديد ملامح النصر وتوجيه دفته .وذلك عن طريق بث الحماسة في صفوف المقاتلين وتحفيزهم على بذل الغالي والنفيس في سبيل إعلاء راية القبيلة ، ومن هدا المنطلق نجد أنه كان لها دور من الأهمية بمكان يتعدى الدور الذي يلعبه السلاح .ولم يقتصر دورها على التحفيز وفقط ،بل تعداه إلى الحط من قيمة المنهزمين وإذلالهم أشد الإذلال وهذا العار لا يوازيه أي عار عند الجاهلين، فإذا كان عار الهزيمة تزيله الانتصارات لكن عار الكلمة يبقى متداولا لأجيال متلاحقة . فكان المقاتل يعمل كل ما في وسعه لتجنب هذا العار . ولم يكن أمر الخطابة الجاهلية مقرونا بميدان الحرب وفقط بل تعداه ليشمل جميع مناحي الحياة اليومية فجعل الجاهلي يستخدمها "في منا فراته بالا حساب والأنساب والمآثر والمناقب –والتي من أشهرها منافرة - طريف بن العاصي والحرث بن ذبيان –وكذلك الأمر في أسواقهم ومناصاحتهم لإصلاح ذات البين واقترنت بعاداتهم وتقاليدهم كالزواج " [3]و يتبين من خلال هذا القول أن الخطابة في الجاهلية لم تدع أمرا يخص القبيلة إلا وكان لها اليد العليا فيه .فكانت المرأة التي تعكس واقع المجتمع الجاهلي في جميع مناحيه. ولكن رغم كل هذا لتحفل كتب التاريخ إلا بالنزر اليسير وذلك راجع لجملة من الأسباب والعوامل ولعل من بينه افتقار العصر الجاهلي لتدوين وهذا الأمر جعل جل المورث الجاهلي يضيع وليس الخطابة فقط.

ولعل من ابرز الخطب التي وصلتنا في هذا الأمر الأخير أي- الزواج -نجد خطبة آبي طالب السيدة خديجة رضوان الله عليها لرسول صلى الله عليه وسلم والتي فحواها "الحمد لله الذي جعنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوبا وجعنا الحجام عن الناس وان محمدا ابن عبد الله لايوزبه فتى من قريش ... وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك

[1]-ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، ط5، دت ،ص 20
[2]ايليا الحاوي،فن الخطابة وتطوره عند العرب ،دار الثقافة بيروت لبنان ، د ط، د ت، ص 32
[3] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، دار المعارف ، ط22، دت، ص 410.409

وما أردتم من الصداق فهو علي "[1]إن المتفحص لهذه الخطبة يجد أنها تحتوي جملة من الموضوعات في موضوع واحد فأبو طالب بدأ فيها بالتذكير بسلالته الشريفة التي تنتمي إلى إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وبعد ذلك إلى التفاخر بقبيلته ودورها العظيم في خدمة بيت الله الحرام الذين حباهم الله بيه . تم انتقل إلى التعريف بفضائل الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يعد زينة شباب قريش وبعد ذلك ولج إلى صلب الموضوع الذي هو خطبة خديجة لرسول الكريم .وختمها بأنه كفيله في صداق الزواج ولهم في ذلك ما أردوا، في أسلوب يمتاز بالتسلسل المنطقي ذو الألفاظ الجزلة المتناسبة مع طبيعة الموضوع . فالألفاظ تختلف حسب طبيعة الموضوع ، فالكل موضوع وطبيعة الألفاظ التي يستخدمها الخطيب فيه فا موضوع الحرب ليس هو إصلاح ذات البين وليس هو موضوع الزواج . ولكن الأمر لا يقتصر في ذيوع الخطابة وانتشارها في أوساط الجاهلين على تعدد المواضيع واختلاف طبيعتها فقط ،فلقد أسعفت الجاهلي كذلك ملكته البيانية التي يعرفها القاصي والداني ، والتي تعد مضرب المثل لأجيال متعددة . ولا نجد أحسن من يصورها من آيات الذكر الحكيم والتي ذكرتها في أكثر من موضع من ذلك قوله تعالى "الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان " سورة الرحمن 1-5وكذلك قوله تعالى " ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا " والقرآن الكريم في حد ذاته دليل قاطع على ما وصلوه من بلاغة اللسن وفصاحة الكلمة ،كما "يدل على بصرهم بتميز أقدار الألفاظ والمعاني وتبين ما يجري من جودة الإفهام وبلاغة التعبير " [2] فلقد أوتي الإنسان الجاهلي ما لم يؤتى غيره من الأقوام جعلته يعزف على أوتار الكلمات أي لحن يريد ، ولا يبذل أي جهد يذكر في سبيل تطويعها لخدمة أغراضه .

ولكنهم مع ذلك كله إلا أنهم كانوا يعملون على تنقيح كلامهم المرة بعد الأخرى حتى يخرج في أبهى حلة للمتلقي لتشوبه أي شائبة .فيقول الجاحظ في هذا الصدد " فبلغاؤهم من الخطباء ...لم يكونوا يقبلون كل ما يرد إلى خواطرهم بل ما يزالون ينقحون ويجودون حتى يظفروا بأعمال جيد . وهي أعمال يجيلون فيها الفكرة ...تسيرهم في ذلك ملكاتهم البيانية التي فطروا وجبلوا عليها "[3]، ويتضح لنا من خلال هذا القول كذلك الأهمية البليغة التي كانت تحظى بها الخطابة في أوساط الجاهلين لذلك عملوا كل ما في وسعهم لأخرجها في أبهى حلة . ولا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل أو إهمال الدور الذي لعبته الحرية التي طبعت حياة الإنسان الجاهلي " فكانت التربة الخصبة التي نمى وترعرع فيها الفعل الخطابي القائم على إيجاد الشرارة بين اللفظ والمعنى في حالة شعورية وجدانية انفعالية ..." [4] إن المتأمل لهذا القول

---

[1]عبد الإله الصائغ ، تاريخ الادب الجاهلي وبلاغة الخطاب الأدبية وتحليل النص ،دار الفكر المعاصر ،صنعاء ، دط، 1999،ص552

[2]شوقي ضيف ،البلاغة العربية تطور وتاريخ ، دار المعارف ، مصر،ط9 ، دت ص13

[3]-المرجع السابق ،نقلا عن ، الجاحظ ، البيان والتبين ، ج1 ص491

4-سامي يوسف أبو زيد ،تذوق النص الأدبي ، دار المسيرة للنشر والتوز يع ،ط1 ،2011 ،ص172

يجد أن للحرية التي عاشها الإنسان الجاهلي بعيدا عن كوابح الإبداع السياسي والاجتماعي وغيرها من مثبطات الإبداع فكانت دافعا للإبداع والنبوغ.

ومن هذا المنطلق نجد أن الخطابة الجاهلية نتيجة لتراكم جملة من العوامل سواء الذاتية ما تعلق بفصاحة الجاهلي وملكته البيانية، أو الظروف التي أملتها التي أملتها طبيعة الحياة التي يعيشها من حروب ومنا فرات وغيرها أو العوامل المساعدة للإبداع كالحرية . أسهمت جميعا في تخليدها في صفحات التاريخ بأحرف من ذهب ، ولكن هذا ليس معناه أن الخطابة الجاهلية بلغت حد الفن الذي له القواعد والأصول المتعارف عليها فبمقارنة بسيطة مع الأمم الأخرى كاليونانية يتضح الفرق جليا وواضحا لأنها وببساطة كانت فيهم " سجية وسليقة أوجدها الصفاء الذهني والفضاء الرحب والحياة البسيطة " [1] من خلال هذا القول يتضح لنا أن الخطابة كانت فيهم عفوية لتصوغها الأحكام المسبقة بل يمليها الظرف الراهن .

ولكن رغم كل ما قيل ويقال أو قيل فأنه لينفي بأي شكل من الأشكال المكانة التي تبؤاها الخطيب الجاهلي في قبيلته .

ونتيجة لتلك الحظوة والمكانة ، ألزموه بجملة من الشروط التي صارت بمثابة القانون المقدس الذي لا يجوز الخروج بأي حال من الأحوال فكان منها " الوقوف على نشر من الأرض أو القيام على ظهر دابة ورفع اليد ووضعها على الخاصرة ...والاعتماد على الصفاح والرماح أو الإشارة بها... "[2]من خلال القول أن الجاهلين أولو للخطيب انطلاقا من الدور الذي كانت تلعبه الخطابة أهمية قصوى وعملوا على الاهتمام بأدق تفاصليه وجميع الأمور المتعلقة به فألزموه بجملة من القوانين ليؤدي الدور المنوط به على أحسن وجه .

ولقد تعدد خطباء العصر الجاهلي واشتهروا وذلك راجع بالأساس إلى تعدد القبائل الجاهلية - فقد يتواجد في القبيلة الواحدة أكثر من خطبين - والأمر الثاني تعدد المواقف التي تتطلب حضور الخطابة و لعل من أبراز الخطباء الجاهلين ما يجمله الهاشمي من خلا ل قوله "من أشهرهم قيس بن خارجة بن سنان ا لخفاجي خطيب حرب داحس والغبراء ، وخويلد بن عمرو الغطفاني خطيب يوم الفجار وقس بن ساعدة ألأيادي خطيب سوق عكاظ واكتم بن صيفي زعيم الخطباء الذين أوفدوا على كسرى والذي كان من بينهم عامر بن طفيل وعمرو بن معدب بن يكرب الزبيدي والحارث بن طالم " [3] والمتأمل لهذا القول يجد أن كل خطيب إلا وقد اقترن او ارتبط اسمه بحادثة تاريخية وما خفي أعظم من أسماء الخطباء وذلك راجع بالأساس إلى غياب التدوين والكتابة بالدرجة الأولى.

[1]-عمار بن مزوز ،نافذة على الخطابة ، دار الأمل لطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط،د ت ،ص11
[2]-أحمد حسن الزيات ،تاريخ الأدب العربي، دار النهضة لنشر والتوزيع ، الفجالة مصر ، دط ،دت ،ص 28
[3]-أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، بيروت لبنان ، طبعة الرابعة، 2012،ص247

ولعل ابرز الخطباء الجاهلين السابق ذكرهم نجد قس بن ساعدة خطيب العرب قاطبة ومضرب الإجادة عندهم الذي تعدت شهرته حدود عصره فلقد جمع بين سلطة الكلمة ورجاحة العقل "فلقد كان يدين بدين التوحيد .ويدعو العرب إلى نبذ العكوف عن الأوثان ويرشدهم الى عبادة الخالق" [1]

لقد كان لصفات التي تحلى بها قس بن ساعدة انعكاس واضح على خطبه فتراوحت موضوعاته الخطابية بين النصح والإرشاد والدعوة إلى إصلاح السرائر وكان من الخطباء الذين تركوا بصمتهم سواء على مستوى الموضوعات التي تجوزت حدود الحيز الجغرافي والمكاني لعصره أو على مستوى الأسلوب. وكان له شرف السبق كذلك في استحداث جملة من الصفات التي صارت بمثابة القانون المقدس .

والتي منها على سبيل المثال لا الحصر انه كان " أول من اتكأ على سيف أو عصا في خطابته وأول من خطب على شرف وأول من قال في خطبه أما بعد ..."[2] وغيرها من السنن الحميدة التي دامت لأجيال من بعده ولقد كان أسلوب قس بن ساعدة من الرقة والجزالة بما كان " المطبوع المسجوع الشديد الروعة ... المتخير اللفظ ..القصير الفواصل .. المبني على ضرب الامثال واستنتاج العبرة من مصارع الطغاة وظواهر الكون "[3] من خلا ل هذا القول نجد أن خطب قس بن ساعدة لم تنل شهرتها من فراغ ،بل كانت خطبه جامعة مانعة تجمع بين فصاحة وبيان الإنسان الجاهلي المطبوع والمجبول عليه دون تكلف أو تصنع . وكذلك بين التجربة الدنية التي اصطبغت بها جل خطبه لتعطيها المزيد من المصداقية لدى جمهور المتلقين على اعتبار أن أمثال قس بن ساعدة كانوا يعدون على الأصابع، وكذلك إن هذه الخصلة الدنية التي ميزت حياته تجعله في مأمن من نزوات العصبية الجاهلية ، ولعل الأمر لأخر الذي أعطى لخطب قس القبول والانتشار في أوساط المجتمع الجاهلي هو استعانته بالأمور التاريخية من قصص وأحداث الأمم الغابرة ، وتوظيفها في سبيل النصح والإرشاد ، و استخلاص العبر والدروس منها وهذا الآمر كان مفقودا تماما بين اقرناه الذين تقاذفتهم العصبية الجاهلية ،وأطرت جل خطبهم وجعلتها في خدمة القبيلة والأغراض الخاصة ، بينما نجد النقيض عند قس بن ساعدة الذي جعل خطبه في خدمة الصالح العام .ليرجو منها أي مصلحة شخصية ويكفيه فخرا وشرفا أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو من روى عنه في سوق عكاظ هذا الشرف الذي تناقلته كتب التاريخ كعربون تميز وإبداع لم يصله احد من إقرانه من الخطباء رغم العدد اللا متناهي من الخطباء الذين تحفلوا بهم هذه الأخيرة ووصل عن قس بن ساعدة مورث قليل بالمقارنة مع الشهرة التي سبقته ومن ابرز النماذج الخطابية التي وصلتنا عنه هو خطبته الأشهر من نار على علم والتي ألقاها في سوق عكاظ والتي شهدها الرسول صلى الله عليه وسلم والتي يقول فيها "أيها الناس اسمعوا واعووا ، انه من عاش مات ، ومن مات فات ،

[1]- المصدر نفسه ،ص 248
[2]- المصدر نفسه ،ص 250.249
[3]- حسن الزيات ، تاريخ أدب العرب ص31

وكل ماهو أت آت . ليل داج ونهر ساج ، وسماء ذات أبراج ونجوم تزهر ، وبحار تزخر وجبال مرساة وأرض مدحاة وأنها مجرات . وان في الأرض لعبر ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟ يا معشر إياد ، أين الآباء والأجداد، وأين الفراعنة الشداد ؟ الم يكونوا أكثر منكم مالا وأطول آجلا؟بكلكله ومزقهم بتطاوله

في الذاهبين الاوليي ن من القرون لنا بصائر

لما رأيت موردا للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها يسعى الأصاغر والأكابر

وصولا

أيقنت أنى لا محا لة صار القوم صائر " [1]

المتأمل لهذه الخطبة يجد أنها ذات موضوع زهدي ، رمى فيها الخطيب إلى مواجهة الحياة الزائلة ، متخذا من حقل الطبيعة ومعجمها "الليل .النهار .سماء .نجوم " وكذلك مستدلا به على وجود خالق ومدبر لهذا الكون وأن هذا الكون لم يخلق من عبث ولا مصادفة وان مظاهر الطبيعة خير دليل .ويعمل كذلك على تحذير الناس من حقيقة الحياة الزائلة التي يحيونها بما فيها من لهو وعبث ستنقلب سخطا وغضبا ويستدل على ذلك من خلا ل تجارب الأمم السابقة الذين اعرضوا عن عبادة الله .

وقد استعان في سبيل ذلك بجملة من الخصائص الفنية كالأسلوب المسجوع القريب من أسلوب سجع الكهان ضرب الامثال لاخذ العظة والاعتبار والتأكيد على وجود الإله قصر الفواصل لا عطاء النغمة الموسيقية رغم طابع النثري للخطابة .

[1]- سحر الخليل مختارات من النثر العربي ، دار البداية، بيروت لبنان ، د ط، د ت، ص 16

المبحث الثاني الخطابة في عصر صدر الإسلام

كان العرب في جاهليتهم قوم يعبدون الأصنام ويقيمون على شرفها المقاليد والمراسيم ،ومحاجهم و معتكفهم إليها فكانت مستغاثهم الأول والأخير في الشدائد والمحن وجعلوا يخصونها بأنواع النذور والقرابين المختلفة " فكان لها النصيب الأكبر من مأكلهم ومشاربهم ...بل كانوا يخصون لها نصيبا من حرثهم وأنعامهم ويجعلونها وقفا لها. فكانت منها البحيرة والسأبة والوصيلة والحامي " [1]كنتاج لهذه المعتقدات التي أوجدت لنفسها مكانة مرموقة عند الإنسان الجاهلي .وصارت عنده بمثابة القانون المقدس الذي يؤا طر حياته الدينية ولا يجوز له الخروج عنها بأي حال من الأحوال. وإذ كان هذا ما طبع حياته الدينية وأطرها . فلم تكن الحياة الاجتماعية بأحسن حال من سابقتها فهي الأخرى طغت عليها جملة من النظم والأعراف جعلت من المجتمع الجاهلي طبقيا بامتياز وعلى جميع الأصعدة " فكانت علاقة الرجل مع أهله الأشراف على درجة كبيرة من الرقي والتقدم ، فكان للمراءاة حرية الإرادة ونفاذ القول ومشورة الرأي وكانت مصونة موفرة لها حريتها وحرمتها تراق لها الدماء .... " من خلا ل هذا القول يتضح لنا حالة المرأة في أوساط الأشراف لكن النقيض تماما كانت تعيشه المرأة في الأوساط الأخرى. فحتى لقب المرآة استكثروه عليها فكانت تعرف بالجارية وغيرها من النعوت والصفات. وكانت تعيش الذل والمهانة بجميع ما تحمله الكلمتين من دلالة تؤكل حقوقها وتنهب أموالها أمام مرأى أعينها وكانت تعامل معاملة الدواب أو أكثر، وتورث كما يورث المتاع وغيرها من الأمور المهينة التي تعجز الكلمات عن تصويرها .

ولم يكن المستوى الأخلاقي في معزل عن الأمراض المتأصلة في المجتمع الجاهلي فكان هو الأخر في الحضيض ومن ذلك كان فيه" شرب الخمر واسع الشيوع والانتشار وشديد الرسوخ في أوساط الجاهلين يتغنى به الشعراء في أكثر هن موضع ومناسبة وعلى سبيل المثال لا الحصر قول لبيد قد بت أسامرها وغاية تاجر وافيت إذ رفعت وعز مدامها "[2]

[1] صفي الدين المباكفوري ، الرحيق المختوم ، ص 27

[2] -كمال أبو سنة ، مسك الختام مع السيرة النبوية الشريفة ، دار الخلدونية،الطبعة الأولى،2008 ، ص 42-41

ومن كثرة الطلب عليه و شيوعه بين أوساط الجاهلين أصبح تجارة كسائر أصناف التجارة الأخرى

ومن الأخلاق التي أوجدت لنفسها عند الإنسان الجاهلي مكانة مرموقة هو القمار الذي كان يعد من أكبر المفاخرات .

وجملة القول أن المجتمع كان يعيش في الحضيض ومن الضعف والوهن بما كان .فكان الجهل ضاربا بأغواره، وينخر جسد المجتمع و"الخرافات لها السلطة المطلقة والكلمة في ما تعلق بإدارة بشؤون الحياة اليومية." [1] فكان مجيء الإسلام ليسموا بهم عن حياة السفه والطيش ويوحدهم تحت لواء الدين والإله الواحد وينئ بهم عن عبادة الأوثان ، ويخلع عنهم رداء العصبية القبلية ويصهرهم تحت راية الدولة الواحدة ، و ينزع عنهم جميع ترسبات العصر الجاهلي التي لا تمت للإنسانية بأي شيء . وكل هذه الأمور التي عمل الرسول صلى الله عليه وسلم التي عمل على علاجها أو تقويم اختلالها كانت عن طريق ثورة فكرية . تنظر إلى الوجود غير النظرة التي دأب عليها الجاهليون "وكانت الخطابة هي المحور الرئيس والوسيلة الأولى والاهم الذي تسند وتدعم هذه الثورة " [2] من خلال هذا القول نستشف أن الخطابة في البدايات الأولى للبعثة المحمدية صارت منوط لها ادوار أكثر أهمية وتختلف جذريا عما عهدته في العصر الجاهلي وهذا انعكس عليها بالإيجاب . ففي خضم ذلك الصراعات والنقاشات والجدلات الواسعة التي كان يدور رحاها بين الإنسان الجاهلي الذي ليس من السهولة بما كان أن يسلم بالمعتقد الجديد ، ويدين به بين ليلة وضحها وينئ عن معتقداته التي دان بها لردح من الأزمان الغابرة .وفي الطرف الآخر نجد الإنسان الجديد المنفتح على عوالم غير معهودة المتغذية بروح الإسلام ، فكانت الخطابة هي المستفيد الأول من تبعات هدا الجدل الحامي الوطيس " تستقي منه تجارب ومعاني جديدة ....من منطلق أنها كانت السبيل الأول لدعوة وسبيلا في ذات الوقت تؤازرها مرة و تنفث في عضدها حينا آخرا " [3] هذا ما مكن لها في الحياة الأدبية وجعل عوداها يستقيم وتعلوا كلمتها على الشعر ، وكل قوم يتوشحها يتسم فيها تحقيق مأربه .

ولم يقتصر أمر الخطابة في لاستقامة واشتداد العود على الصراع القائم وحده،فلقد كان للمعجزة الإلهية التي أيد الله بها نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام الأثر البالغ . حيث أن القرآن أعطى النثر عموما والخطابة على وجه الخصوص " نوع من العذوبة في اللفظ . ورقة في

[1]-محمد العيد خان ،الأساطير والخرافات عند العرب،دار الحداثة للطباعة والنشر ،ط4 ،1993 ص124
[2]- ايليا الحاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب ،ص 156
[3]-المرجع نفسه ،ص 172

التراكيب . ودقة في الأداء وقوة في المنطق وثروة في المعاني ..."[1] فالمتأمل لهذا القول يجد نوعية الثورة التي أحدثها القرآن الكريم في الخطابة والتي كانت شاملة جامعة لجميع المستويات فزادها رونقا وجملا عما كانت عليه في العصر الغابر وضمن لها الخلود عبر الحقب الأدبية المختلفة .

ولعل ابرز خطيب في تلك الفترة التي طبعها عدد لايعد ولا يحصى من الخطباء هو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي توفرت لديه جميع مقومات الخطيب الناجح . فجمع بين فصاحة الإنسان الجاهلي "على اعتبار انه فرع زك من تلك الدوحة الرفيعة الذرى المشهورة أبا عن جد في ميادان الفصاحة وكيف لا وهي مدعاة الشعراء ومزارهم عبر العصور لينالوا منها شرف التزكية حتى قيل فيهم لهم كلام يعرض في حلي البيان وينقش في فص الزمان ويحفظ على وجه الدهر ويفضح قلائد الدر ويخجل نور الشمس ..."[2] فهو الوريث الشرعي لبيان وفصاحة قريش الذين بلغوا في عهدهم ما لم تبلغه أي قبيلة من قبائل العرب المتبدية في .حتى جأهم البرهان واليقين الذي لا يدع أي مجال لشك في ما وصلوه من فصاحة البيان من الله سبحانه وتعالى وهو أن انزل القرآن الكريم بلسان قرشي مبين .والمتأمل لكلام النبي صلى الله عليه وسلم يجد انه بالإضافة إلى الفصاحة الجاهلية فانه قد نهل من منهل من الوحي الإلهي الذي كان سندا له لينضب.استنادا إلى قوله تعالى "وما ينطق على الهوى وإنما وحي يوحى " ولانجد أحسن من يصور هذا الوحي الإلهي من قوله صلى لله عليه وسلم " أدبني ربي فأحسن تأديبي " .[3]هذا الوحي الإلهي الذي جعل كلام النبي الكريم في مرتبة العليين لتضاهيه أي منزلة من فنون النثر الأخرى التي عرفها العرب الجاهليون وتواتروا عليها . تلك الرتبة التي جعلت أفصح الخطباء. يقفون أمامه مذهولين كأن الطير فوق رؤوسهم . ليعرفون له نظير ولم يعهدوا له بمثيل رغم أنه لم يخرج عن تقاليدهم المألوفة في نظم الكلام ولو قيد أنملة ، فهذه الفصاحة التي أسرت عقول المتقدمين . وشغلت طائفة كبيرة من العلماء المتأخرين يصفونها ويحددون معالمها .ومن جملة العلماء الذين وصفوا بلاغته وطريقته في نظم الكلام الجاحظ في قوله " هو الكلام الذي قل عدد حروفه . وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف ... استعمل المبسوط في موضع البسيط والمقصور في موضع القصير " [4]. إن المتفحص لهذا القول يجد أن النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام قد أعطى لكل مقام مقاله ال ذي يناسبه دون تكلف ولا زيغ ومن هذا المنطلق فلا غرابة في أن يأسر مسامع المتلقين ويؤثر في عقولهم .

[1]-محمد خضر ، أدب صدر الإسلام ، طبعة خاصة ، 1401 ، 1981 ، ص 370
[2]- عبد الحفيظ فزعلي القرني إعجاز البيان النبوي دار الفكر العربي القاهرة مصر ط الأولى 1423 2005، ص15
[3]- شوقي ضيف ،تاريخ الأدب الجاهلي ص 8
[4]-مصطفى صادق الرافعي تاريخ آداب العرب المكتبة العصرية .صيدا بيروت، 2002، ص 237

كل هذه العوامل التي اجتمعت لنبي جعلته ينحى بالخطابة منحى لم يعهد له مثيل ، فكا ن تجديد على مستوى الشكل ومن جملة ذلك انه استن لها سنة المقدمة والنهاية " فكان صلى الله عليه وسلم يستهل خطبه بالحمد والثناء ولشكر وما إلى ذلك ...ودأب على إنهاءها كذلك بعبارات الحمد والثناء ...." [1]فصارت في ما تله من ا لعصور بمثابة تقليدا يحكم نظام الخطابة و يؤطر شكلها الخارجي .ولم يكن التجديد مقتصرا على مستوى الشكل فقط بل تعداه إلى مستوى المضامين ولعل ابرز موضوع طغى على جل خطب الرسول هو الموضوع الديني فكانت خطبه "تحث على الأمر بالمعروف والنهي بالمنكر . والدعوة إلى إقامة ركن من أركان الدين كالصلاة ... أو التعريف بحكم شرعي أو إصلاح بين متخاصمين ... " [2] إن المتأمل لهذا القول يجد أن الخطب الدينية عند الرسول صلى الله عليه وسلم كانت شاملة جامعة مانعة لشؤون الحياة اليومية . فكانت الخطابة الوسيلة الأولى لإسماع صدى الدعوة المحمدية ،ونشرها في شتى الأصقاع المختلفة وفرض التعاليم الإسلامية وترسيخ المعاني التي جاء بها القرآن الكريم

ومن نماذج خطب الرسول صلى الله عليه وسلم . العديدة والمتعددة منها على سبيل المثال لا الحصر . أول خطبة ألقاها وهو بالمدينة والتي فحواها " الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه . وأومن به لا أكفر وأعادي من يكفر وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل . وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنوا من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشدوا ومن يعصه فقد غوى وفرط وظل ظلا لا بعيدا .وأوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصي به المسلم ...فاحذروا ما حذركم الله في نفسه ولا أفضل من ذلك ذكرا . وان تقوى الله يوفي مقته ويوفي عقوبته وان تقوى الله ينص الوجوه ويرضي الرب ويرفع الدرجات .فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله ... فأحسنوا كما أحسن الله إليكم..وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ...وأكثروا من ذكر الله " [3] إن المتأمل لهذه الخطبة يجد فيها الجمل الوجيزة، المرتبة بترتيب منطقي لتؤدي الغرض المنشود والمأمول منها .وتميزت بالطرح المتسلسل للأفكار أما على المستوى الشكلي حيث ابتدئها عليه السلام بالحمد والثناء على الله تعالى وصلى على نفسه وذلك ليستثير الناس ويثير انتباهم. ثم انتقل إلى صلب الموضوع حيث عمل على تذكيرهم بجملة من الأمور التي تضمن لهم سبيل النجاة في الدنيا والآخرة ومن جملة تلك لأمور الجهاد في سبيل الله من منطلق إن الذكرى تنفع المؤمنين و

[1]-ابتسام مرهون الصفار، الأمالي في الأدب الإسلامي، دار المناهج لنشر والتوزيع ، عمان الأردن، دط، 2010، ص280
[2]-نفس المرجع، ص282
[3]-ابن هشام السيرة النبوية دار الجيل بيروت ، الطبعة 10 1992.1413ص 241

ختمها بتذكيرهم بوجوب الإكثار من ذ كر الله .ومن السمات البلاغية التي نلمسها في هذه الخطابة العبارات الفصيحة والألفاظ السهلة البعيدة عن كل مواطن الغرابة والثقل وكذلك غياب السجع والتكلف وكذلك تكرار المعانى الواحد في أكثر من مقولة ليرسخ في ذهن المتلقي هذا الأساس يمكن القول أن الخطابة كانت أداة الدعوة الأولى وسبيلها الأول لنشر تعاليم الدين الإسلامي لجمهور المتلقين .

المبحث الثالث:الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين

-1-1.أبوبكر .

لقد كان لظروف التي تصادفت مع وصول أبي بكر للخلافة.الأثر البالغ على الخطابة ومن جملة تلك الظروف حادثة سقيفة بني سعد التي جر حولها لغط وجدال كبير حول من هوى الأحق والأجدر بخلافة النبي عليه الصلاة والسلام خصوصا أنها جئت في غداة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وحالة الاضطراب التي خلفتها بين عموم المسلمين والذين كان على رأسهم عمرو بن الخطاب الذي خيل له انه سيعود ثانية .ولكن حكمة آبي بكر أرجعت الأمور إلى نصابها وكان تفكير الأنصار منصبا حول من يخلف الرسول عليه الصلاة والسلام في إدارة شؤون المسلمين خصوصا انه لم يحدد من يخلفه ولا الطريقة التي يحدد من خلالها " فكان اجتماعهم في سقيفة بني سعد ليبايعوا سعد بن عبادة سيد الخزرج " [1] إن المتأمل لهذا القول يجد أن اختيار الأنصار وقع على احد أشرافهم ولم يكن هذا الاختيار عبثا وإنما كان الدافع لاختيار واحد منهم –الأنصار - من منطلق راو أنهم قد بذلوا جهدا حثيثا في حماية الإسلام ونشره في أصقاع مختلفة وأنه من دونهم ولم تكن تقوم للإسلام أي قائمة. فهم كذلك الذين احتضنوالرسول صلى الله عليه وسلم بعدما رفضه قومه وصبت خطبة سعد بن عبادة في هذا الصدد حيث قال فيها " يا معشر الأنصار إن لكم سابقة في هذا الدين ،وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب إن محمدا صلى الله عليه وسلم لبث بضع عشر سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان ، فما آمن به فمن امن إلا رجال قليل وما كانوا قادرين على أن يمنعوا

[1]-كمال السيد أبو مصطفى وأخرون ، في تاريخ الدولة العربية الاسلامية صدر الاسلام والدولة الاموية مركز الاسكندرية للكتاب ط 9، 2000ص240

رسول الله ولا أن يعزو ا دينه ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عموا به حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ،فرزقكم الله الإيمان به ،وبرسوله والمنع له ولأصحابه... وأثخن الله عز وجل لرسوله الأرض بكم ..."[1] أن المتأمل لهذه الخطبة يجد ان اختيار سعد بن عبادة من قبل الأنصار لم يكن اعتباطا بل كان شخص قوي الحجة أبدى من خلاله رأيه بكل موضوعية في مسألة اختيار خليفة رسول الله على المسلمين مستندا على حجج قوية تبرز موقفهم من المهاجرين وانا عهد التفاخر بالأنساب والعصبية قد ولى عهده وانتهى وأن معيار الاختيار هو السبق لمن احتضن الإسلام في مهده ومكن له في الأرض.وجعل كلمته مسموعة بين ارجاء

المعمورة .

ورغم الحجج القوية التي استند عليها سعد بن عبادة لتبرير موقف الأنصار في مطالبتهم بالخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ،الا انه قبل بالرفض جملة وتفصيلا من قبل المهاجرين الأولين وأنهم هم كذلك كان لهم سبق الإيمان بالرسول الكريم والتصديق به فكان مقترحهم "وقالوا منا أمير ومنكم أمير" .وأمام هذا الوضع الذي ا جعل من أكبر فئتين مكونتين للمجتمع الإسلامي –الأنصار والمهاجرين - في صراع مفتوح ، كانت ستكون له عواقب غير محمودة على الدولة الإسلامية الفتية التي مازلت في طور توطيد أركانها .هذا الأمر الأخير الذي أدركه عمر بن الخطاب خصوصا أن تلك الأحداث شهدت غياب ابرز الصحابة الذين كانو مشغولين بتشيع الرسول فكان لحضور كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب الأثر البارز يتجلى ذلك من خلال خطبة آبي بكر والتي فحواها " إن الله بعث محمدا رسول الله إلى خلقه ،شهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم بعبدون من دونه آلهة شتى .ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ولهم نافعة .وإنما هي حجر منحوت وخشب منجور ثم قرأ قوله تعالى "ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هولاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والأرض" ...فعظم على العرب أن يتركوا دين أبائهم .فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمواساة له .والصبر على شدة أذى قومهم لهم وتنكبهم إياهم وكل الناس لهم مخالف .زار عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم ونشف الناس لهم وإجماع قومهم عليهم " [2] ان المتأمل لهذه الخطبة يلتمس فيها التدرج المنطقي في عرض الأفكار حيث انه ابدأ بمكان عليه العرب في سالف عصورهم من عبادة للأصنام وظلل عن طريق الهدى .ونأيهم في بداية الدعوة المحمدية عن التخلي عن معتقدهم وهذا ما سبب متاعب لتعد ولتحصى للمسلمين الأولين على مستوى المال والأنفس. ورغم كل هذا إلا أنهم لم يتركوا الدين الإسلامي بل زادهم ذلك حرصا عليه ،ورغم إنهم لم يستطيعوا نشره في البلدان إلى أنهم حافظوا عليه وعلى مبادئه ثلاثة عشر عاما . وهذا حسب آبي بكر يعد انجازا في حد ذاته في ظل الظروف

[1]-المرجع نفسه ،ص 243
[2]-المرجع نفسه ،ص 17

التي صادفتهم وعمل ابو بكر على تقوية موقفه من خلا ل استعانته بالقرآن الكريم وذلك ليعطي لخطبته البعد الروحي والإيماني فكانت هذه الخطابة الوسيلة التي تدرك من خلا لها أبي بكر أمور المسلمين قبل أن تعصف بهم أهواء السلطة إلى ما لا يحمد عقباه

ومن بين الظروف التي نلتمس فيها الدور الكبير الذي لعبته الخطابة في عهد أبي بكر هي الخطبة التي ألقاها بعد مبايعته بالخلافة ومنها "أيها الناس ،إني وليت عليكم ولست بخياركم ،فان رأيتم على حق فاعنوني، وأن رأيتموني على باطل فسيدودني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته ، فلا طاعة لي عليكم ،ألا إن أقواكم الضعيف عندي حتى اخذ الحق له ، وأ ضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه "[1]إن المتأمل لهذه الخطبة يجد فيها أنا أبو بكر أراد من خلالها إن يرسم معالم نظام حكمه ويوضح أبرز معالمه لرعية . المبني على الشورى بالدرجة الأولى ،فلقد أبرز أن الشورى والديمقراطية ما يتناسب مع طبيعة الدولة الفتية – وحادثة السقيفة ليست ببعيدة عن الأذهان –فبين من خلالها لرعية الذين ارتضوه خليفة لهم انه ليس مستبدا بالحكم ويعتبر نفسه واحدا منهم له مالهم وعليه معليهم .ليتسامى عنهم في شيء . ومن مجمل الأمور التي أراد التنويه عليها كذلك العدل الذي يعتبره الركن القويم الذي من دونه ليستقيم أمر الدولة فأكد أن الناس سواسية لا تميز بين الضعيف ولا القوي من خلال قوله ان الضعيف عنده هو الأقوى حتى يأخذ الحق له ،وأضعفهم عنده القوي حتى يأخذ الحق منه وهذا النوع من العدل الذي يستمد ه من تعاليم الإسلام. وجملة القول أن أبي بكر من خلا ل هذه الخطبة أراد من خلال هذا الخطبة اقتفاء منهج النبوة والسير على خطاه الزكية .

ولقد طبعت خطبه رضي الله عنه جملة من الخصائص الفنية

الحمد والشكر . يستهل أبو بكر معظم حطبه بالحمد والثناء وهي سنة اقتبسها من النبي صلى الله عليه وسلم وذلك من أجل " الإقرار بالعناية الإلهية والفضل. ويظهر إيمانه المطلق في كل ما يطرأ عليه أو ينتابه من الله تعالى راضيا به مسلما أمره لعناية الخالق"[2] . وصارت بمثابة التقليد الذي ليجوز الخروج عليه .

الاستشهاد بالآيات القرآنية : يرمي من خلا لها أبي بكر إلى إعطاء خطبه المزيد من المشروعية على الموضوع الذي يرمي إليه. أو اتخذها بينة عليه من أجل نفيه وفي الأمرين أعطاء الامر المزيد من التأكيد .وأما الأمر الثاني الذي يرمي إليه ابو بكر هو توثيق صلته بالدين ويؤكدها بها. وهي ميزة يشترك فيها جل خطباء العصر الإسلامي.

[1]-محمد رضا ، أبو بكر الصديق والخلفاء الراشدين، دار الحديث، القاهرة ، 1425 2004.ص 152

[2]- ايليا الحاوي فن الخطابة وتطوره عند العرب ص 188

-إنهاء خطبه بذكر النبي والترحم على النبي صلى الله عليه وسلم . وهي كذلك سنة استقها من الرسول عليه السلام الذي دأب في خطبه على إنهاءها بالسلام والترحم فان أبو بكر ينهي جل خطبه بالترحم على النبي .

وأما على المستوى البلاغي" قلما تترأى في خطبه الانفعالات والأدوات البلاغية المتعددة الإيقاع من أسجاع وغيرها"[1] لان أبو بكر كان في مقام الشرح والتفصيل لأفكاره وهذا المقام ي ستدعي منه تجنب الصور البلاغية ومظاهرها . لتجنب أي لبس في فهم المعنى .

2-2 علي بن أبي طالب لقد شهدت الخطابة منحى أخرى مع الإمام علي كرم الله وجهه وساهمت في ذلك ثلة من العوامل تراوحت بين الذاتية والموضوعية. فأما هذه الأولى فتمثلت في النبوغ الشديد الذي امتلكه رضوان الله عليه في ميدان البلاغة وسائر العلوم التي كانت في عصره فكان بليغا مفوها ليشق له غبار على اعتبار انه من نفس السللة النبوية الكريمة. ومن أكبر الأدلة على ما وصله من فصاحة اللسن هو الكتاب الذي جمعت فيه أقواله وخطبه من طرف الشريف الرضي الذي حظي باهتمام منقطع النظير من طرف الأدباء والعلماء عصرا بعد عصر" فكان متنفسا لعلوم عديدة وجد فيه رجال الدين عقيدة وفضيلة والفيلسوف حكمة وفلسفة ورجال اللغة حجة لاتقرع ... "[2] ان المتفحص لهذا القول يجد إن الإمام علي امتلك من الثقافة ما تجوز حدود عصره في الزمان والمكان ،هذه الأخيرة التي كان انعكاس واضح وجلي على خطبه اكسبها نوع من قوة المنطق والحجة التي لتقرع .وأما العامل الثاني الذي كان له الأثر البليغ على خطبه هو الصفات التي تحلى وتميز وبها كرم الله وجهه .فهو كان من الذين شبوا على الإسلام وتشربوا مبادئه منذ الصغر فلقد أسلام وهو غلام –من الخمسة الأوائل –وعلى ضوء هذا الأساس فقد اكتسى جملة من الصفات المميزة ،"فكان من أحسن الناس تواضعا وزهدا وتعففا فما ياستهويه شيء من الدنيا وهو عنها في سلطان بعيد ، وكان ينظر إلى الناس نظرة رحمة وعدل وإخلاص لايتورى في تنفيذ العدل حتى في أقرب الناس منه "[3]. جعلته هذه الأخلاق ينال محبة الجميع دون استثناء .ويحظي بمكانة وحضو ة عند الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينلها احد من قبله .فكان مضرب المثل في الكرم والشجاعة وغير ذلك .

[1]-المرجع نفسه ص 192
[2]- حنا الفاخوري الموجز في تاريخ الادب العربي دار الجيل بيروت لبنان دت دط ص 132
[3]- عمر فروخي تاريخ الادب العربي من مطلع الجاهلية الى سقوط الدولة الاموية دار العالم للملاين بيروت لبنان دط دت ص 308

وأما العوامل الموضوعية التي كان لها الأثر الكبير على جل خطبه واستحوذت على جل مواضيعها هو طبيعة الظرف السياسي الذي تصا دف مع وصوله للخلافة .فلقد وصل في ظرف ليحسد عليه ، فهو قد بويع بالخلافة ودم عثمان رضي الله عنه لم يجف بعد .واختلاف وجهات النظر في ومعالجة هذه الأخيرة فتح عليه عدد من " الفئات المعارضة لسياسته في التعامل معها ممثلتا في كبار الصحابة من أمثال طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأم المؤمنين السيدة عائشة والذي تجلى في معركة الجمل التي كانت فاتحة لسلسلة من المعارك والحروب. وأما الطرف الثاني المعارض هو كذلك لسياسته كرم الله وجهه الحزب الأموي ممثلا في شخص معاوية بن أبي سفيان المتمركز بالشام "[1]هذه المعارضة الشديدة التي كان فيها الفيصل السيف من خلال المعركة الشهيرة صفين ،والتي فتحت على الإمام علي جبهة أخرى للمعارضة تجلت في الخوارج الذين عبروا عن سخطهم الشديد من نتائج حادثة التحكيم .وانتهى بهم الجدل إلى تحكيم السلاح فكانت معركة النهر وان هي الفيصل كذلك .هذه السلسلة المتوالية من المعارك والأحداث كان لها الأثر البارز في خطبه ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر " الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل .واشهد أن لا اله ألا الله وحده لا شريك له ليس معه اله غيره ، وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحيرة وتعقب الندامة ، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ونخلت لكم مخزون رأي لو كان يطاع لقيصر أمر فأبيتم عليا إباء المخالفين الجفاة والمناديين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه فكنت وإياكم كما قال اخو هوازن :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد .

إلا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين فقد نبذا كحم القرآن وراء ظهورهما ...واتبع كل واحد هواه ،بغير هدى من الله فحكما بغير حجة بينة ولسنة ماضية ..." [2]

ان المتأمل في هذه يجد أنها موجهة لفئة معينة من جملة الفئات الخارجة عليه وهم الخوارج الذين حملوه على قبول مقترح معاوية ثم نقموا عليه بعدما رؤاه من نتائج هذه الحادثة التي تصب في غير صالحهم .فكانت نبرتها متراوحة بين النقمة والغيظ على ما وصله الوضع و الحسرة والأسى بسبب أنهم خالفوا رأيه ، وضربوا بنصيحته عرض الحائط ورغم طابع هذه الخطبة السياسية الا انه تحمل في طياتها الصيغة الدينية من خلا ل أن " الوضع القائم من الخطب الفادح والحدث الجليل إلا أن إيمانه لم يوهن ولو دقيقة وهذا ما يتجلى في استهلاله للخطبة بالحمد والثناء والشهادة "[3]. والمتأمل لهذه الخطبة بجد عمق المرجعية الثقافية التي

[1]-المرجع نفسه ، ص 311

[2]-احمد بن ابراهيم بن مصطفى ، جواهر الادب في ادبيات وانشاء لغة العرب ،281

[3]-ايليا الحاوي ، فن الخطابة وتطوره عند العرب 132

يحتفى بها الإمام علي كرم الله وجهه .حيث يتجلى ذلك من خلاله استعانته بقصة أخو هوازن التي جرت أحداثها، ووقائعها في العصر الجاهلي .

وأما على المستوى الفني فلقد استعان الإمام علي بجملة من الخصائص البلاغية المعروفة والتي من بينها توظيف الاستعارات من ذلك قوله -نخلت لكم مخزون رأي –وذلك ليبين لهم خبرته في الحروب وأنها ليست وليدة اليوم وإنما هي مخاض تجربة طويلة كان يمكن أن تبين لهم طريق الهدى ،لكن إعراضهم عن الاستفادة من تجاربه أوصلهم إلى ما هم عليه .وكذلك تكرار الألفاظ والمعاني بصيغ مختلفة من ذلك قوله المخالفين، الجفاة ،المنادبين ، العصاة ، فلقد عمل- كرم الله وجهه - على تكرار الألفاظ والمعاني مصحوبة بإيقاع وذلك لإعطاء الفكرة التي يريد إيصالها المزيد من التأكيد.

ومن بين النماذج الخطابية للإمام علي التي اكتست فيها حلة دينية خالصة بعيدا عن التوجه الإيديولوجي السياسي الذي يوؤطر معظم خطبه والتي فحواها "الحمد لله الذي لا يبلغ مدحه القائلون ، ولا يحصي نعماءه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان أرضه .أول الدين معرفته .وكمال معرفته التصديق به توحيده .وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه .... انشأ الخلق إنشاء وابتداه ابتدأ بلا روية أجالها ولا تجربة ا ستفا دها . ولا حركة أحداثها ولاهمامة نفس اضطرب فيها ،أحال الأشياء لأوقاتها ...ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وأدام مربها وأعصف مجراها وأبعد منشأها ،فأمرها بتصفيق الماء الزاخر وإثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء . ترد أوله إلى أخره..."[1] إن المتأمل لهذه الخطبة يجد أنها ذات موضوع ديني زهدي ينحى فيها الإمام منحى زهدي خالص انطوت على جملة من الموضوعات الدينية وأول موضوع استهل به هذه الخطبة هو تعظيم الخالق وذكر نعمه التي انعم بها على خلقه حيث يرى انه ما بلغ البشر في وصف نعم الله عليه فانهم لم ولن يوفوا الله حقه .داعيا ايهم الى اخلاص النية في العبادة والتوحيد لانه وبدون ذلك لن تستقيم أمور ا دينهم ودنياهم وهي كذلك تعير عن مظاهر الشكر لما انعمه الله عليهم ومن مظاهر اخلاص العبادة التي يراها الامام علي ضرورية هو نفي الصفات عن الذات الإلهية فهو سبيل آخر من سبل التوحيد التي تنفي عن المؤمنين أي سبيل لشرك . تم عرج بعد ذلك الى الحديث عن تلك النعم مستدلا عليه من مظاهر الطبيعة كالرياح والصخور" وقد رمز بالريح الى الحركة ومايصحبها من عنف وعتو وبالصخور الى الجماد والثبات وهما ثنائيتين في الحياة الحركة

[1]-

والجمود فهو يخلق الشيء وضده "[1]وقد أتى بهذا المثال ليستدل به على براعة الخالق في إبداع هذا الكون في دقة متناهية لتضاهيه آي وحكمة .

وقد اعتمد في إبراز مايره على تكررا المعاني بألفاظ مختلفة من ذلك قوله " الحمد لله الذي لايبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعماءه المحدثون ولا يؤدي غرضه المجتهدون ..." فكل هذه العبارات تصب في خانة واحدة وهي التأكيد على عظمة الخالق وفي الجانب الاخر تبين قدرة الإمام علي على تطويع الكلمات لخدمة أغراضه.وكذلك نلمس في هذه الخطبة حسن التخلص عند الإمام علي في طريقة عرضه للأفكار دون إخلال رغم تعدد المواضيع التي ادرجها تحت خانة الموضوع الرئيسي .

الخطاب في عصر بني امية

لقد شهدت الخطابة عموما والسياسة على وجه الخصوص في العصر الأموي ازدهارا ونشاطا لا نظير له على الساحة الأدبية. وضارعت الشعر في المكانة والحظوة التي كانت يمتلكها . وتجوزتها في كثير من المواقف وقد كان وراء هذا الازدهار والتطور جملة من العوامل .وهي

1-1تعدد المذاهب السياسية إذا أنه لم يشهد عصر من عصور الدولة الإسلامية السالفة ما شهده العصر الأموي من تناقضات وإشكالات على الصعيد السياسي وذلك نتيجة انقسام المسلمين على أحزاب عديدة ومتعددة تتفاوت بين المعارضة والتأيد "فامتشق الخطباء ألسنتهم في تصوير مذاهبهم السياسية يدعون لها كما للانتفاضة حولها "[2] .المتأمل لهذا القول يجد أن تبعات الصراع السياسي الذي كان العصر الاموي مسرحا له ، ورغم مخالفته غير محمودة العواقب على المجتمع العربي على جل المستويات خصوصا الاجتماعي إلا انأ تبعاته على المستوى الفكري الأدبي. بخلاف ذلك .حيث صارت التناقضات السياسية المعين الرئيسي الذي لاينضب للخطباء وساهمت في ارتقاءها وتطورها بشكل منقطع النظير .

[1]

[2]-رفيق خليل عطوي ، فن النثر في العصر الأموي ، الأكاديمية اللبنانية للكتاب،دط 2002،1423،ص20

ومن جملة العوامل كذلك العصبية العربية حيث كان العصر الأموي عهد العصبية بامتياز وفي جميع الميادين فكان الناس في حينها على هوى المتبع للبادية التي حفظت للعرب سلائقهم اللغوية ولم تفسد بمجاورة الأمم الأجنبية والاختلاط بشعوبها .."فكانوا من بلاغة المنطق وحسن البيان وجودة الإفهام بحيث يستطيع متكلمهم أن يبلغ ما يريد من استمالة الأسماع مع الديباجة الرائعة والرونق البديع."[1] من خلا ل هذا القول نجد ان العصبية العربية التي عرف بها عهد الدولة من تعصب تام للعنصر العربي والإقصاء التام للعنصر الأجنبي من من جميع الميادين كان له الاثر الايجابي فلقد استطعت ان تحفظ هذه الأخيرة للإنسان العربي بلاغته المعهودة عليها منذ العصر الجاهلي من اللحن وبتالي المحافظة على بريقها ولمعانها .مما جعل ذلك يصب في صالح الأدب على وجه العموم والخطابة على وجه الخصوص .وظفت عليها المزيد من الرونق وجمالا

ومن ابرز العوامل كذلك هو المكانة التي صار يتبوؤها الخطيب .فإذا كانت السياسة أم المعارك في العصر الأموي.فان ا"لخطابة لحمتها والخطيب سدتها وذلك راجع للخدمات القولية التي تتطلبها تلك المرحلة القائمة على صراع حمي الوطيس بين المعارضين والمؤيدين والمحالفين فشهدت قصور الخلفاء ومنابر المساجد اروع المظاهرات الخطابية التي كان ديدنها المنافسة والمفاخرة والفصاحة والبيان.فارتدى الخطيب عباءة التكريم والإعجاب.وصار لهم الصوت المسموع والكلمة النافذة "[2]من خلا ل هذا القول نجد أن الخطباء أصبحوا أعلام عصرهم وبامتياز وموضع الحفاوة لدى الفئات الحكمة على اختلاف توجتها فقربهم الخلفاء واغد قو عليهم العطايا، ولم يكن الأمر ليختلف في صفوف المعارضين فكان لخطبائهم نفس المكانة والحظوة . فكانت الخطابة مهنة راقية وسلاحا قوليا لا غنى عنه في المعارك السياسية .

وأما العامل الأخر فهو حرية التعبير فقلد شهدت الخطابة ازدهرا منقطع النظير في ضوء الحرية فكان كل خطيب يعلن برأيه بصراحة سواء كان مؤيدا للبيت ألأموي أو معارضا له خصوصا وأن الأحداث كانت تنطبع بألوان ومشارب مختلفة والناس منقسمون شايعا ومعارضين يعايشون الأحداث وقد يشاركون في صنعها مما أفرز الاعتماد على الخطابة كوسيلة أساسية للتعبير عن أرائهم وتوجهاتهم الإيديولوجية .ولا يمنعهم في ذلك سيف الحاكم وليخذلهم سيل المال لتمسكهم بمبادئهم ودفاعهم عنها بكل قوة .

وقد تعددت مناخات حرية التعبير في العصر الأموي لجملة من العوامل ومنها

سياسة اللين التي اعتمدها أو ملوك بني أمية –معاوية بن أبي سفيان –في التعامل مع الرعية ولاسيما الخصوم و المعارضين ويتجلى ذلك في خطبته الشهيرة التي شرح فيها سياسته في الوهلة الأولى على سكان المدينة "أما بعد فان ما وليتها عليكم بمحبة منكم ولا مسرة بولايتي

[1]-شوقي ضيف ،البلاغة تاريخ وتطور ص 16
[2]-رفيق خليل عطوان ،فن النثر في العصر الاموي ص22

ولكن جالدتكم بسيفي هذا مجالدة ولقد رضيت لكم نفسي على عمل ابن قحافة ...إن لم يكن ألا ما بقي به القائل بلسانه فلقد جعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي ..." [1] فمعاوية من خلال هذه الخطبة يحاول أن يبرز أن المعارضة الكلامية والتي احتلت فيها الخطابة نصيب الأسد لن يقيم لها أي اعتبار. فهي حسبه لتشكل أي مصدر تهديد مادام الأمر لن يتعدى ذلك الى حمل السلاح الذي يعتبره مصدر التهديد الرئيس الأول والأخير .

ولعل العامل الثاني الذي أعطى للحرية بعد أخر هو بعد المعارضين والمناوئين عن مقر الحكم .فكان هذا البعد المكاني مدعاة إلى حرية القول .فصارت هذه الميزة المكانية يستعين بها المعارضين لأبدأ أرائهم ليخشون في ذلك منعا أو قمعا .ومااذ وحصلت محاربة من طرف الحزب الحاكم فان ذلك يشكل زد إضافيا للخطابة ليشتد لهيبها . ومن أمثلة عن ذلك البعد المكاني مكان مع الحزب الزبيري الذي كان متركزا في مكة والأمويين في الشام فكانت خطبه الموجهة من طرفهم لهذ الأخير لاذعة ليخف فيها لومت لائم ولا سطوت سلطة الحاكم ومن نماذج ذلك خطبته التي وجهها لمعاوية عندما أراد أن يترك الخلافة من بعده لابنه يزيد والتي فحواها " أن هذه الخلافة لقريش خاصة فاتق الله يا معاوية . وأنصف من نفسك . فان هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله عليه الصلاة والسلام وهذا عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمته ..والحسن والحسين وأنت تعلم من هما فاتق الله يا معاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك "[2] فالناظر لهذه الخطبة يجد أن ابن الزبير وجه نقدا لاذع لمعاوية من خلاله وضع يزيد في ميزان المفاضلة بينه وبين كبار الصحابة على غرار كل من عبد الله بن جعفر أو عبد الله ابن عباس أو أبناء كبار على غراره هو أو الحسن والحسين حيث أراد أن يبرز له مقام ابنه ليزيد من هولاء . كل هذه الأمور التي أبرزها ابن الزبير مكان أن يتجرأ على قولها لولا الحرية التي أفرزها العصر الأموي .

ومن العوامل المساعدة كذلك هي الحروب والثورات وقد تراوحت بين مستوين الداخلي والخارجي .فأما على المستوى الخارجي فلقد بلغت الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية اوج عزها وسلطانها" ففي ايام الوليد وأخيه هشام بلغت الدولة الإسلامية أوسع حدودها فامتدت من شواطئ المحيط الأطلسي ...إلى حدود الصين "[3]هذه الفتوحات المستمرة لم تكن انطلاقاتها وميدانها تخلو من خطب القادة . الذين كانوا يعملون على إثارة حماس الجنود وحثهم على الجهاد والموت في سبيل الله من أجل رفع راية الدين الإسلامي. عن طريق الخطابة التي سبق دورها السلاح

[1]-هشام صالح مناع ،روائع من الأدب العربي، دار الوسام، بيروت ط الأولى، 1410 1990 ،ص203
[2]-موسوعة تاريخ العرب تاريخ ممالك دول حضارة ،عبد عون رضوان ،ص68
[3]-الجامع في تاريخ الادب العربي ، حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت لبنان ،د ط د ت ص 359

أما على المستوى الداخلي فلقد تعددت الثورات الرافضة لبني أمية وسياستهم في إدارة أمور الدولة . ورغم أنها لم تكن لا بالتنظيم المحكم . ولا بالعدد الكافي إلا أنها استطعت أن تقض مضاجع بني أمية ومن أبرزها ثورة" شبيب بن زائدة وثورة عبد الرحمان بن الاشعث وثورة

يزيد بن المهلب بن أبي صفرة .." [1]فكان لها خطباء يدفعون عنها ويعملون على إضفاء المشروعية عليها .

ومن أبرز الخطباء الذين شهدهم عصر الدولة الأموية .بالنسبة للحزب الحاكم أي الأموي" معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز من الأمراء زياد بن أبيه ومن الولاة الحجاج بن يوسف الثقافي وخالد بن عبد الله ألقسري" [2]يعتبر هولاء من أشهر الخطباء الذين حملوا لواء راية الحزب الحاكم وعملوا على إعلاء رايته ونصرة كلمتها .والوقوف في وجه بقية الأحزاب الناقمة على سياستهم. رغم المعارضة الشديدة .

أما بالنسبة للحزب الخارجي فلقد تعدد وكثر خطباءه بشكل كبير ومن أبرزهم" قطري بن الفجاءة وعبيد بن هلال الشكرى. وعمران بن حطان والطرماح بن الحكيم الطائي وأبو حمزة بن عوف الازدي وحيان بن ظبيان ..."[3]هذا التعدد الكبير من الخطباء في صفوف الحزب الخارجي تكمن وراءه جملة من الأسباب، ومن أهمها تعدد الفرق المكونة للحزب الخارجي من صفرية وعجردية ،والتي إن اتفقت في المضامين الأساسية إلى أنها تختلف في بعض الأمور جعلت من الاستعانة بالخطابة أمرا حتميا لتوضيح معلمها والطريق التي ينتهجها .وأما الأمر الثاني فهو راجع لطبيعة المبدأ التي تبنها حزب الخارجي المبنية على الصراحة والجهر دون إقامة أي اعتبار لطرف الثاني . وكذلك طبيعة المنتسب للحزب الخارجي الذي نجد انه تشرب المبادئ التي نادى بها الحزب وأمن بها بطريقة منقطعة النظير ويعتبرون من أطراف المعارضة القلائل الذين جمعوا بين القول والعمل

وأما الحزب الشيعي الذي كان له هو الأخر خطباء متعددون تروحوا بين المعنيين مباشرة في الصراع أو شيعتهم

كالحسن والحسين .وعبد الله بن جعفر .وزيد بن علي بن الحسين وبين الذين امنوا بمبادئهم وناصروهم كالمختار الثقافي والكميت بن زيد وعبد الله المري"[4] وغيرهم .حمل جميعهم

شعرا واحدا هو استعادة الحق المغتصب من طرف بنو أمية.والعمل على إعادته لأهله الشرعيين المتمثلين في أل البيت أي علي وأولاده من بعده هذا الأمر الأخير التي بنت عليه جل مبادئها وأكثر من ذلك جعلته الركن القويم الذي تقوم عليه جل مبادئها الأخرى .

[1] شوقي صبف تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي ص 418 -

[2]-المصدر نفسه ص 421

[3]- المصدر نفسه ص 435 -436

[4]-الجامع في تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري ص 362

وأما لحزب الأخر الذي كان له دور في حركة المعارضة التي كانت قائمة هو الحزب الزبيري رغم انه كان له خطباء يعدون على الأصابع من أبرازهم "عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب بن الزبير "[1] ولعل السبب وراء ندرة الخطباء انه لم يعمر ردحا طويلا من الزمن كما هو الشأن مع بقية الأحزاب الأخرى.ولكن هذا لم يمنع ان تكون لهم مواقف خطابية وذلك راجع لاقترانهم بأحداث تاريخية لم ولن يشهد الإسلامي مثيل وهي حصار مكة من طرف الحصين بن نمر وتحطيم جزء منها على يد الحجاج بن يوسف الثقافي .

الخصائص الفنية للخطابة في عصر بني امية رغم النزوات السياسية التي والأهواء الدنيوية التي طغت على هذا العصر الى ان ذلك لم يغض من القيمة الفنية والجمالية للخطابة . "فلقد كانت سنة البلاغة حاجة سياسية ودينية فإذا قصر عنها الخطيب نقصت عدته "[2]ومن جملة الخصائص الفنية التي طبعت الخطابة .

الحمد لله والثناء والصلاة على رسول الله عليه وسلم فكانت"عبارات الحمد والثناء على عظمة جلاله وسلطان قدره والطمع في نيل رضوانه ومغفرته والصلاة على رسوله الكريم وقراءة الشهادتين "بمثابة القانون المقدس الذي لا يجوز التعدي عليه في أي حال من الأحوال إلى فيما ندر كما حصل مع زياد بن آبيه وخطبته المشهورة البتراء . ولقد جرى التأكيد على هذه الخاصية والسمة بين الخطباء لما تعطيه من مدلول روحي وبعد ديني . وكذلك الراحة النفسية التي تبثها في صفوف المتلقين وبالتالي يشعرون بنوع من الوحدة الوجدانية واالايمانية مع الخطيب .ومن أمثلة ذالك خطبة سليمان بن الصرد .احد خطباء الحزب الشيعي والتي قال فيها "اثني على الله خيرا . وأحمد آلاءه وبلاءه .واشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله ...."[3]

2-2 امتزاج الشعر بالخطابة . لقد جعلت بعض الخطب السياسية تبدأ مقدمتها بمقطوعة شعرية تنم من خلالها عن موضع الخطبة وتوجهاته .ولقد الاستعانة بالشعر لما له من" تأثير في نفسية

[1]- شوقي ضيف تاريخ الادب العربي العصر الاسلامي ص 410
[2]- حيل عطون فنون النثر في العصر الاموي ص 31
[3] المرجع نفسه ص 33

المخاطبين حيث يثير انفعالاتهم ويحرك خوطر هم فتتلقاه برفق وتنطبع بمضمونه .فتصت الأذان لسماعه ..."[1] فالشعر رغم المتغيرات التي طرأت على المجتمع العربي في جميع المستويات السياسية والاجتماعية إلا انه بقي محافظا على مكانته عند الإنسان العربي رغم محدودية دوره .ومن الأمثلة في هذا الصدد خطبة الكميت بين يدي يزيد الاسدي" ...فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد .

قف بالديار وقوف زائر وتأنى انك غير صاغر

حتى انتهى الى قوله

يالمسلم بن أبي الوليد لميت ان شئت ناشر

علقت حبالي من حبا لذلك ذمة الجار والمجرور

فألان صرت الى أمي ة والأمور إلى المصاير "[2]

2-3 البدايات التمهيدية:حيث ان جل الخطب تمتاز ببدايات تمهديه قبل الولوج في صلب الموضوع وهذه الطريقة تعتمد على الأسلوب الهادئ ومنطق ترجح فيه الصراحة والوضوح على التعتيم والإبهام وذلك حتى تلقى الترحاب والتجواب من طرف المتلقين والمخاطبين ويتحتم على الخطيب انتقاء اللفظ المناسب الذي ينسجم مع طبيعة الموقف وفي هذا الصدد نماذج عديدة ومن أبرزها خطبة معاوية في مبايعة يزيد "الحمد لله أمرنا بالحمد ووعدنا عليه ثوابه .نحمده حمدا كثيرا كم انعم علينا كثيرا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد فاني قد كبرت وقد وهن العظم مني وقرب اجلي وأوشكت ان أن ادعي فأجيب وقد رأيت رأيا ان أستخلف عليكم ابني يزيد ورأيته لكم رضا وانتم عباهلة قريش وخيارها وأبناء خيارها ولم يمنعني أن أحضر حسنا وحسينا إلا أنهما أولاد أبيهما على حسن رأيي فيهما وشديد محبتي لهما فردوا على امير المؤمنين "[3] نجد ان معاوية يمهد في هذه الخطبة يمهد لإعلان البيعة لابنه يزيد من خلال أسباب توهم المتلقي انه لاتهمه سوى صالحهم الذي رآه في ابنه يزيد . فلقد عمل على قد وهن عظمه وقرب اجله ولا يريد أن يتركهم في حيرة وشتات من أمرهم فارتضى لهم ليزيد.ولقد حفلت هذه الخطبة بإجابة استباقية . لسؤال لم يطرح عليه لكن معاوية بخبرته السياسية يعلم مايدور في أذهان الرعية فبدرهم بالإجابة عيه . وهو عن سبب عدم دعوة الحسن والحسين ؟.فهو يعلم موقفه منه ومن ابنه وليس من الحصافة دعوتهم او ارغماهم على الحضور الى امر لا تطيب لهما نفسهما.

[1]- ايليا الحاوي . فن الخطابة وتطوره عند العرب ص 192
[2]- المرجع نفسه
[3]- فنون النثر في العصر الأموي ، خليل عطوان ، ص 42

وهذه مجمل الخصا ئص الفنية التي طغت على الخطابة في ذلك العصر.

الفصل الأول: طبيعة الحياة السياسية وظهور الأحزاب

المبحث الأول: الحزب الأموي

المبحث الثاني: الحزب الخارجي

المبحث الثالث: الحزب الشيعي

المبحث الرابع: الحزب الزبيري

الفصل الأول: طبيعة الحياة السياسية وظهور الأحزاب

تعتبر الخلافة أو الإمامة من أخطر المشاكل التي واجهت المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، خصوصا أنه لم يعين من يخلفه ولم يحدد الطريقة التي يعين بها خليفته، فكانت حادثة سقيفة بني سعد أول بوادر تلك الأزمة لكن حكمة كل من عمر بن الخطاب وأبو بكر في إدارة الأزمة جعلتهم يخمدون فتيلها، ولم تثر تلك الأزمة بعد ذلك بفضل سياستهم الرشيدة، لكن الأوضاع انقلبت رأسا على عقب بعد وصول عثمان بن عفان خصوصا في أواخر خلافته ، ويمكن القول أنها عادة إلى سالف عهدها فظهرت عدة أطراف رافضة لسياسته سواء المستندة إلى شرعية دينية أو المستندة إلى إيديولوجيا سياسية انتهت هذه الأزمة بالثورة عليه ومقتله .ومبايعة علي بن أبي طالب ولكن الهدوء لم يعرف طريقه إلى الخلافة الإسلامية فلم تكن جميع الأطراف متوافقة مع علي في طريقه معالجة المشكلة، ممثلين في كبار الصحابة من أمثال الزبير بن العوام وفئة أخرى ترى نفسها الأولى بدم عثمان بن عفان ممثلة بمعاوية بن أبي سفيان وانتهت بمواجهات راح ضحيتها كبار الصحابة وما زاد الوضع سوء، هو ظهور أطرف أخرى تريد معالجة الأمور على طريقتها لخاصة، فنتج عن هذه المواجهات وفاة علي بن أبي طالب وبداية عصر جديد في تاريخ الأمة الإسلامية العربية.

وهو عصر بن أمية، الذي شهد هو الأخر جملة من الأحداث السياسية المتشعبة اختلط فيها الحابل بنابل أفرزت جملة من الأحزاب السياسية التي ترى في نفسها هي الأحق في السلطة وفق جملة من الإيديولوجيات التي تحملها والظروف التي أدت إلى ظهورها،فحاولنا الوقوف عند كل حزب

بالتفصيل الممل للوصل فيها بعد إلى انعكاساته على الأدب عموما والخطابـــة خصوصا وكيف جعلت منها حاملا ووعاء لتمرير ايدولوجيتها إلى المجتمع.

الفصل الأول: طبيعة الحياة السياسية وظهور الأحزاب:

المبحث الأول: الحزب الأموي:

يعتبر مقتل الإمام على بن أبي طالب آخر الخلفاء الراشدين، بمثابة الإعلان الرسمي عن انتهاء آخر حلقات الخلفاء الراشدين وبداية عصر جديد قديم في تاريخ الأمة الإسلامية، وهو عهد الدولة الأموية الضاربة في جذور التاريخ العربي فهم ينتسبون إلى " إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وفي عبد مناف يلتقي مع بني هاشم وهم ينتمون إلى قريش"[1] ولم يكن وصولهم إلى السلطة مفروشا بالورود فبعد أن تضاءلت مشاركتهم في الحكم خلال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن هذا ليس معناه أنهم فقدوا مكانتهم فلقد منح الرسول صلي الله علي وسلم لأبي سفيان ميزة لم يمنحها لغيره من أهل مكة "حين قال في فتح مكة من دخل دار أبو سفيان فهو آمن"[2] على اعتبار أنه كان سيد أهل مكة ، والمتحدث الأول باسمها

1 صفي الدين المياكفوري، الرحيق المختوم، دار إمام مالك، دار المستقبل الجزائر 2005م ص 10.

2 نفس المرجع ص 308 .

وهذا شرف كبير حازه أبو سفيان يدل على أن مكانته بقيت مصونة في الإسلام وفي عهد الخليفة الأول-أبو بكر-استعان بهم في حروب الردة و نشاط الفتح على الجبهة الشامية حيث كان على دراية بوجود صلة عميقة الجذور بين بني أمية والقبائل العربية المقيمة تحت حكم البزنطيين.

تلك العلاقات المتجذرة من خلال النشاط التجاري الذي عرفت به الأسرة الأموية وكذلك نجد مشاركة لبعض الرجال البارزين في الأسرة الأموية على غرار أبي سفيان وبعد أن تولى عمر بن الخطاب الخلافة سار على نهج صاحبه في استعمال بني أمية والثقة بهم "فلم يعزل أحد وله أبو بكر فقد بقي يزيد بن سفيان واليا على دمشق كما زاد في ولاية معاوية على الشام "[1] وبالموازاة مع ذلك بدأ نجم معاوية بن أبي سفيان في الظهور على سطح الساحة السياسية والإدارية فقد أسهم مساهمة كبيرة في "فتح قيسارية التي كانت محضة وبأس أهلها شديد فحاصرها معاوية طويلا وزاحف أهلها مرات عديدة حتى فتحها و اجتهد في القتال وأبلى البلاءالحسن"[2]

وهذا الفتح إن دل إنما يدل على الخبرة والحنكة الحربية المتوارثة جيل عن جيل في الأسرة الأموية.

و هي من الأحداث التي جرت معه في عهد خلافة عمر ابن الخطاب الكثيرة والمتعددة تدل كلها على الدهاء والتمرس الذي يتمتع به معاوية بن أبي سفيان في الحياة السياسية مكنته فيما بعد من إقامة صرح دولة عظيمة يشهد له العدو قبل الصديق وفي عهد عثمان رضي الله عنه اتسع تدخل معاوية في شؤون الحكم ويمكن القول أن الأسرة الأموية عموما رجعت إلى سالف عصرها الجاهلي في السيادة، وقد شهدت الأحداث تطورا متسارعا وضمت إلى معاوية بعض المناطق الأخرى حتى أصبح هو الوالي المطلق لشام، بل أصبح أكثر ولاة عثمان على الإطلاق نفوذا وصار له ثقلا سياسيا وكلمة مسموعة .

1 محمد الصلابي ،الدولة السفيانية معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره، المكتبة العصرية صيد بيروت (لبنان) الطبعة الأولى 2008 ص 25.

2 نفس المرجع ،ص 32، 33.

ولكن سرعان ما زال هذا الاستقرار السياسي فقد بدأت تلوح في الأفق أزمة شديدة فرضتها سياسة عثمان اللينة في التعامل مع الولاة، وكذلك اختلاف سياسته مع من سبقه –عمر بن الخطاب – هذا الأخير الذي كانت سياسته مبنية على الصرامة سواء مع الولاة أو الرعية.

وغيرها من العوامل التي أدت إلى مقتله على يد مجموعة "من الثوار من أقاليم مختلفة، الذين حاصروا بيته ومنعوه حتى من الصلاة... واشتدت محاصراتهم للمدينة حتى صاروا يصلون بالناس أحيانا"[1] ولم يستطع كبار الصحابة منع الأمر من الوقوع رغم محاولة علي من خلال إرسال أولاده الحسن والحسين ولكن الأمر كان فوق طاقته وخارج إرادته، وانتهى الأمر بمقتل عثمان بن عفان ومبايعة علي ابن أبي طالب بالخلافة ولكن الهدوء لم يعرف طريقا إلى الخلافة فلقد رفض معاوية إعلان عصى الطاعة لعلي حتى يقتص من قتلة عثمان ولكن عليا بن أبي طالب أراد انتهاج سياسة أخرى في معالجة المشكلة وهو استرجاع الهدوء المفقود ثم العودة إلى حادثة مقتل عثمان وأرسل "إليه سهيل ابن أحنف بدل منه إلى أنه لما كادا يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له : إن كنت من طرف عثمان مرحبا بك وأن كنت من قبل على فرجع وكانت بلاد الشام تغلي على مقتله[2] " واتخذ معاوية من حادثة مقتل عثمان شرطا أساسيا لمبايعة علي، وتمسك الخليفة علي بن أبي طالب بوجهة نظره .هذا الاختلاف في الرأي في معالجة المشكلة جعل الأحداث تتطور تطورا متسرعا كانت عواقبها وخيمة على المجتمع العربي الإسلامي، وصل في نهاية المطاف إلى معالجة المشكلة عن طريق السلاح وهذا ما تجلى في معركة صفين الشهيرة فاستعد علي بن أبي طالب لغزو الشام فبعث "يستنفر الناس ويحثثهم على الجهاد، وجهز جيشا ضخما قوامه خميس ألفا وسلك الطريق نحو معاوية ولم يقف هذا الأخير موقفا متفرجا وجهز هو كذلك جيشا اختلفت الروايات في تقديره وعسكر كل من المعسكرين في حيرة بالفرات... وأقتتل الطرفين مدة غير يسيرة من الزمن راح

1هاشم يحي الملاح ،الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ،دار الكتب العلمية ،بيروت (لبنان) ،ط1 ، 2007، ص129، 130.

2 أبو الحسن على بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د،ط، دج ج2 ص 348

ضحيتها كبار الصحابة أمثال عمار بن ياسر وغيره"[1]. وتخللت تلك الفترات هدنة طمعا في صلح يحفظ ويحقن دماء المسلمين من الهدر هباء منثورا لكن ذلك لم يجد نفعا واقترب النصر من علي لكن" دهاء عمرو بن العاص حفظ ماء وجه معاوية، حيث قال مخاطبا جند معاوية من كان معه مصحف فليرفعه على رمحه ، فكثر في الجيش من يرفع المصاحف ونادوا لكتاب الله بيننا وبينكم.. فلما رأى أهل العراق ذلك قالوا نجيب إلى كتاب الله ونثيب إليه، وأحب القوم الموادعة، وقالوا لعلي: قد أعطاك معاوية الحق ودعاك إلى كتاب الله فاقبل منه" [2]

وأمام الإصرار المتزايدة من طرف أنصاره قبل علي مقترح معاوية واللجوء إلى حكم الله، وجرى ما أردوه واختار كل منهم حكما فعمرو بن العاص من طرف معا وية وأبو موسى الأشعري من طرف علي رغم عدم رضاه عليه فلقد كان يدرك حجم الاختلاف بين الحكمين فعمرو بن العاص يعتبر من دواهي العرب الخمسة وأبو موسى لم يكن له ند لا من قريب ولا من بعيد .وبالفعل تحققت مخاوف علي –كرم الله وجه–

فلم تكن نتائج حادثة التحكيم مرضية لمعسكر علي ولم تلق ترحيبا ولا قبولا من طرفهم "فحصل نوع من التفكك فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتباغضون الأب من الابن والأخ من أخيه، فأدرك علي ما آل إليه الوضع وأمر جنده بالمسير لكي لا يزداد الوضع سوءا أما معسكر معاوية فأصبح أكثر مشروعية وصار مطالبا بالحق الذي أقرته له هذه الحادثة"[3] فعوض تطفئ نار هذه الفتنة ، زادت الوضع أكثر سوء وتعفنا خصوصا معسكر علي

الذي فتح على نفسه جبهة جديدة من الصراع وهم الخوارج الذي تصادم معهم في معركة نهروان والتي قضى فيها على أغلبهم ولكنه لم يستأصل شوكتهم نهائيا وبقوا يعملون في الخفاء وخلصوا إلى نتائج مفادها القضاء على جميع الأطراف. "حيث تعاهد ثلاثة منهم على قتل كل من

[1] -نفس المصدر ،ص 349
[2] .نفس المصدر ، ص 351
3 نفس المصدر ،ص 352.

معاوية وعمرو بن العاص وعلي... وهم عبد الرحمان بن ملجم وحجج بن عبد الله الصريمي وزادوية مولى بن العنبر.. ففشل هذين الآخرين ونجح عبد الرحمان بن ملجم في القضاء على علي "[1]هذا الأمر فتح الطريق أمام معاوية .ولكن الشوكة الأخيرة التي بقيت حلقه وهي الحسن بن علي الذي رأى فيه أغلب الناس الوريث الشرعي للخلافة بعد مقتل أبيه.وخصوصا أهل العراق الذين بقوا موقفهم من معاوية "وبايعوا الحسين في الكوفة وأصر أهل الشام على موقفهم من مبايعة معاوية في بيت المقدس "[2]

ووفق هذه المعطيات تحرك معاوية إلى العراق لينال المبايعة من أهلها وبلغ ذلك مسامع الحسين "فخرج له في جيش قوامه أثنى عشر ألف من إتباعه بقيادة سعد بن عبادة الأنصاري .. وبلغ للحسين أخبار مفدها وقوع خيانة في جيشه نفحت معالمها باستمالة عبد الله بن عباس."[3]

هذه الأمور كلها جعلت من الحسين يراجع أموره وأفكاره وخلص إلى نتائج مفادها أنه لا حول ولا قوة له أمام جيش معاوية فموازين القوى لم تعد في صالحه فآثر انتهاج سبيل آخر هو سبيل المفاوضات والحوار ليحفظ دماء المسلمين.

وخلصت المفاوضات إلى نتائج وقرارات ولعل أبرزها وأهمها "أن يخلع الحسين نفسه من السلطة ويسلمها لمعاوية وفي المقابل يكون الأمر بعده شورى وسمي ذلك عام الجماعة "[4] ليتم بذلك وضع آخر الصفحات وأول الفصول في سبيل قيام الدولة الأموية.

وقد قامت سياسة معاوية على منهجية أوسع أفقا وأبعد مدى من المحيط الذي يدور حوله، حيث اجتهد في أن يقيم صرحا لدولته على جملة من المبادئ والأركان تتمحور أساسا على "استمالة

[1] - المصدر نفسه ص 353

[2] - محمد سهيل طقوش،تاريخ الدولة الاموية ، دار النفائش ط7، 2010،ص14

3-محمد الصلابي الدولة السيفانية معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره، ص 21

4 - نفس المرجع ، ص23.

كبار الصحابة والشخصيات الإسلامية وأبنائهم خاصة بني هاشم"[1] ليعطى لنفسه المزيد من الشرعية والتأييد ومن بين الأمور والمبادئ التي اعتمدها كذلك هو مباشرة أمور الدولة بنفسه معتمدا في ذلك مواهبه وحنكته السياسية التي اكتسبها عبر أزمان متعددة.

بالإضافة إلى ذلك إتباع سياسة كسب الولاء وهذا ما حتمته عليه الظروف المحيطة بدولته الناشئة، وقد عمل في هذه السياسة على صعيدين وهما :" التحالف مع السكان الأصلين في بلاد الشام...وعلى صعيد آخر التحالف مع أقوى القبائل العربية من بينها اليمنية التي كانت له السند الرئيس في الوصول إلى سدة الحكم ومن أوجه هذا التحالف زواجه من ميسون الكلبية"[2] وزوج ولده يزيد بامرأة منهم، وهذا الأمر الأخير له دلالة أخرى هو أن العنصر العربي بقي سيد القرار وصناعته والإقصاء التام للعنصر الأجنبي من شؤون الحكم ومقاليده حتى سميت بعد ذلك الدولة العربية الأعرابية .

ومن أبرز الخلفاء الدين تعاقبوا على سدة الحكم نجد يزيد بن معاوية الذي يعتبر وصوله إلى الخلافة أو بالأحرى الطريقة التي وصل بها من أكثر المسائل التي دفعت بالكثيرين إلى الوقوف ضده وتوجيه سهام النقد له ولأبيه حيث اعتبروا توريثه الحكم خروجا عن العقد المبرم مع الحسين وخروجا عن النهج المتعارف عليه من عهد خلافة أبي بكر وقد كان معاوية على علم بتبعات قراراته إلى أنه خشي انهيار الجهود التي بذلها خلال مسيرة نضاله السابق خصوصا أن الصراع بينه وبين الأمويون كان على أوجه،ناهيك عن الأطراف الأخرى

وقد أفرز هذا القرار ثلاث أطراف على الساحة السياسية بين الفئة "المباركة والمؤيدة لحكم يزيد والمتحالفة معه وهي المستفيدة من استمرارية المشروع السياسي وهي القبائل العربية المتحالفة مع أبيه، وأما الفئة المعارضة والمتذمرة من الحكم الأموي... وحجتها أن القرار الوراثي يعتبر دخيلا على

1 . بيضون إبراهيم، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول هجري، دار النهضة العربية بيروت، د ط، 1989 ص146.
2 . نفس المرجع ص148.

العرف العام وخروجا عن العادات الإسلامية وأبرز الممثلين أبناء كبار الصحابة من أمثال الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير.."[1] وأما الفئة الثالثة والمتمثلة بالتيار "الشيعي الذي كان متعاطفا بشدة مع الحسين وأهل البيت حيث كان يرى أن الشرعية الدينية المتمثلة في استرداد حق أبيه المغتصب اغتصابا من طرف ليزيد ومن قبله أبيه كلها حقوق تخوله المطالبة بالخلافة"[2] وهذا ما تجلى في دعواتهم المختلفة المطالبة بتحركه ا-كما وسنرى لاحقا -وصلت به إلى حد مقتله وكان يزيد بن معاوية يرى في الحجاز والكوفة بدرجة أقل أهم مراكز المعارضة لعدة عوامل وكان أبرز ها تمركز الثقل التاريخي فيها والمتمثل بكل من الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير وبدرجة أقل عبد الله بن عمر وقبل أن يطالبهم بالولاء أسرع إلى عرض سياسته على الرعية " ولما خرج من المقبرة أتى بمراكب الخلافة فركب، ثم دخل البلد وأمر فنودى بالناس إن الصلاة جامعة ودخل الخضراء.وألقى أول خطبة خطبها وهو أمير المؤمنين فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس إن معاوية عبد من عباد الله،أنعم الله عليه ثم قبضه إليه وهو خير ممن بعده ودون من قبله ولا أزكيه على الله فإنه أعلم به إن عفا عنه فبرحمته، وإن عاقبه فبذنبه وقد وليت الأمر من بعده ولست أسى على طلب ولا أعتذر من تفريط وإذ أراد الله شيئا كان.. إن معاوية كان يغزيكم في بحر وإني لست حاملا أحدا من المسلمين في البحر إن معاوية كان يشتكيكم بأرض الروم، ولست حاملا أحدا من المسلمين في البحر، وإن معاوية كان يشتكيكم به فكان يخرج لكم العطاء أثلاثا وأنا أجمعه لكم كله: فافترق الناس وهم لا يفضلون عليه أحدا"[3]

من خلال هذه الخطبة شرح يزيد سياسته في قيادة الأمة ووضع الخطوط العريضة التي سيسير عليها وهي كما نرى سياسة أكسبته قلوب أهل الشام وغالبية أهل المدائن الأخرى، سياسة تقوم على عدم أتقال كاهل الرعية بما لا يطيقونه وفي مقابل ذلك إظهار الطاعة ويمكننا القول أن يزيد بن معاوية ورغم فترة خلافته القصيرة نسبيا ثلاث سنوات 60 هـ ، 63هـ يعتبر من أبرز الخلفاء وأكثرهم إثارة

1 سليمان العقيلي، يزيد بن معاوية حياته وعمره، الرياض دار عالم الكتب، الرياض (السعودية) ص 140.

2. نفس المرجع ص 142.

3 نفس المرجع ص 145.

للجـــدل .

ويعتبر "عبد الملك بن مروان" كذلك من الخلفاء المتميزين في سدة حكم بني أمية، فقد تصادف وصوله إلى الخلافة وجود عدة أطراف متصارعة "وأولها فئة الأمويون المسيطرون على الحجاز والعراق، ونجد كذلك عبد الله بن الزبير المسيطر على الحجاز والعراق، وكذلك الشيعة في العراق، والحزب الخارجي.."[1]ويمكننا بملاحظة بسيطة أن الوضع الذي وصل فيه شهد تشعبا كبيرا استطاع بحكمه ومقدرة فائقة في إدارة الأزمات على القضاء عليها الواحدة تلو الأخرى دون جهد حربي يذكر اللهم حادثة مقتل عبد الله بن الزبير والتي سرها لاحقا، والتي أسالت حولها الكثير من الحبر وأسهب المؤرخون في نقلها.

[1] - على محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، دار البيارق (ليبيا) ط الأولى 1998 ص 21، 22

المبحث الثاني: الخوارج في العصر الأموي

إنه لمن العسير جعل حادثة التحكيم نتاجا خاما، مرتبطة بحركة الخوارج دون الحديث عن ترسبها التاريخية، وفي هذا الصدد نجد جملة من الآراء حيث يرى البعض أن جذورها ترجع إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولحادثة ذي الخويصرة والتي فحواها "أن ذي الخويصرة اعترض على النبي صلى الله عليه وسلم على توزيع غنائم غزوة حنين وقال له لم أراك عدلت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟ وحاول عمر قتله لكن النبي صلى الله عليه وسلم منعه وقال له سيكون له شيعة يتعمقون في الدين ثم يخرجون منه كما يخرج السهم من الرمية"[1]

إن المستندون إلى هذه القصة يرون أن هذه النبوة تحققت فعلا مع الخوارج وكانت أهم ميزة طغت عليهم أو عرفوا بها وهي السطحية في التفكير دون محاولة فهم الوقائع أو الأحداث من جميع جوانبها فلو تريث ذي الخويصرة واستفسر من الرسول صلى الله عليه وسلم لفهم مقصده دون أن يحدث ما كان ولما تجرأ على نزع لباس القداسة عن الذات النبوية ، وهذا ما سنجده متجليا أو طاغيا على تفكيرهم .

وأما الرأي الآخر فيرى أن الخوارج تمثل السبئية نسبة إلى عبد الله بن سبأ والمستندون إلى هذا الرأي يستدلون أن بعض" أراء السبئية وجدت لنفسها مكانة عند بعض فرق الخوارج"[2]

لكن من الصعب الإقرار بهذا الرأي أو القول به فعبد الله بن سبأ كشخصية حقيقية وفاعلة في المجتمع العربي الإسلامي لم يزل الحديث عن صحتها من عدمها إلى اليوم، وبالتالي فمن الصعب الحديث عن دورها المعظم لتمهيد ظهور الخوارج وقد اقترن اسمها كثيرا بالدعوة الشيعية وبعلي على وجه الخصوص.

1. ابن هاشم، السيرة النبوية،مطبعة البابي الحابي وأولاده ،مصر، ط 2 ،1995 ،ج2، ص 128.
2. هشام البطاط فوضى الفكر السياسي عند الخوارج ، ، دار المعارف القاهرة، ط 2 ص82

وأما الرأي الثالث وهول الغالب والأكثر تطابقا مع الواقع حيث "يرتبط الخوارج بما حدث في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، الذي قام حبسهم بإطلاق العنان لأقاربه لاستغلال مكانتهم والحظوة التي نالوها وبالتالي عاشوا فسادا بأموال المسلمين"[1] وقد كان الفقراء والقراء هم المادة الخامة للخوارج يعتبرون من أبرز الثوار وهذا ما يدعم هذا الطرح أكثر، ولقد كانت الثورة على عثمان هي التربة لخصبة التي نثبت فيها جذور الخوارج.

المتمثلة بالقراء الذين سيكون لهم دور كبير في حمل الإمام علي على قبول مقترح معاوية في موقعة صفين ومن ثم معادته بدعوى انه حكم الرجال وأن الحكم لله ويتجلى ذلك في خلال محاورته الشهيرة لهم.

والتي جاء في صلبها كما يوردها سليمان مطهر في كتابه

"سألهم على بن أبي طالب

ما أخرجكم علينا؟

قالوا: حكومتكم يوم صفين

قال علي: أنشدكم الله ألست قد نهيتكم عن قبول التحكيم فرددتم علي رأيي، ولما أبيتم إلا ذلك اشترطنا على الحكمين أن يحكم بما أنزل الله وإن حكم بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بما في القرآن وإن أبيا فنحن منها براء...؟

قالوا له فخبرنا... أتراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء؟

قال علي: إنما لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن وهذا القرآن مسطور سن دفين لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال .."

1. طه حسين، الفتنة الكبرى على وبنوه ، دار المعارف القاهرة ،ط 13 د ت ، ص 97..98

قالوا له فخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم؟

حساب على هذا وهو يمضي: كلمة حق يراد بها باطل "[1]

بقدر ما هي اللحظة الحاسمة للتعبير عنها، وبعد انتهاء معركة صفين واتضاح نتائجها غير المتوقعة لعلي وأتباعه كتب إلى أنصاره يعلمهم بأن ما حكم به الحكمين مردود عليهما وأنه قد عزم على قتال أهل الشام فقال لهم ولكن جوابهم كان"... أما بعد فإنك لم تغضب لربك وإنما غضبت لنفسك وإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك"[2]

لقد وضحت هذه الحادثة بما لا يدع مجال لشك سطحية التفكير عند الخوارج فهم يطلبون من الإمام علي كرم الله وجهه، أن يرجع عن كفره والكل يعلم من هو **!!** وبعد جهد حثيث من قبله في إعادة الأمور إلى نصابها مع الخوارج خرج بنتيجة حتمية مفادها إلزامية المسير للحرب والتقى الطرفان في المعركة الشهيرة "نهروان" فالتحم الجانبان واقتتلا قتالا شديدا تمكن خلالها علي بن أبي طالب من أن يلحق بهم هزيمة نكراء غير أنها لم تقض عليهم نهائيا إذ سرعان ما عادوا إلى سطح الساحة السياسية مستلهمين من استبسال إخوانهم روحا جديدة.

مرتكزات الخوارج السياسية والدينية:

1ـ الدينية: قامت الخوارج منذ الوهلة الأولى لانطلاقها بمزج الديني والسياسي إن جاز القول ذلك لأن الخوارج كانوا في عصرهم الأول يفتقرون إلى التنظير الإيديولوجي المتكامل وذلك لطبيعتهم العسكرية التي كانوا يسمون بما كذلك الطبيعة البدوية، وانشغالهم بالحرب جعل هذه الأمور عندهم في المقام الثاني ولكن هذا لم يمنع ظهور مرتكزات اصطبغت السياسة بالجانب الأبحاث الدينية ولكن أمكن تحديد كل المرتكزات على حدى فأما الدينية فهي

[1] ـسليمان مظهر ،قصة الديانات ، مكتبة مد بولي ،الطبعة الثانية ، 2003،ص580

2 محمد رضا محمد أيمن البشرواي تراجم الخلفاء الراشدين، دار الحديث القاهرة (مصر) ، ط 1، 2004، ص78

1. التوحيد: وإن كان ليس بالشيء الجديد القول بأن تنادي إحدى الأحزاب السياسية بهذا المبدأ فكل المسلمين يؤمنون بوجود الاله الواحد حيث أن الخروج " يؤمنون بوجود الإله الواحد الذي خلق كل شيء .وهم يجمعون على تنزيه الذات الإلهية عن شبه المحدثات "[1]المرتكز حضي الإجماع عليه عند بقيت الأحزاب.

2. العدل: لقد ارتبط مفهوم العدل عند الخروج " بقضايا الحرية والجبر والاختيار وكذلك القضاء والقدر –ويعتبر هذا المرتكز عاملا رئيسا في تأجيج النزعة الثورية عندهم على أساس إقامة العدل السياسي والاجتماعي داخل المجتمع الإسلامي –حيث يؤمنون بأن الخير والشر هما من خلق الله تعالى غير أن كسب العباد لهما، يعد كسب حقيقيا لا مجازيا"[2]

وهذا ما يجعله مسئولا عن أفعاله.وبالتالي يحاسب عليها

3. العمل جزء من الإيمان:

يقر الخوارج بأن العمل جزء من الإيمان وفي حالة عدم كون العمل مطابقا للمنظومة أو العقيدة التي يتبناها أو يؤمن بها، فإن إيمانه سيكون حتما ناقصا ويعوزه الكمال.

ولهذا أوجبوا على الإنسان المسلم أن يعمل أو يقيم التطابق التام ما بين ممارسة العملية أو العقيدة التي يؤمن بها، بغاية الوصول إلى المرتبة الحقيقية للإيمان بالمعتقد أو التصور الذي يرونه صحيحا. "فهو التالي ليس مجرد قول باللسان وإنما إقرار والعمل بالجوارح وهذا ما يحتم على المرء أن يمارس ما آمن به "[3]

[1] . محمد هاشم البطاط الفكر السياسي عند الخوارج ، ص 104

2 نفس المرجع، ص، 106ص.

3 حسين الشاكري نشوء المذاهب والفرق الإسلامية، دار ابن الجوزي ،ط الأولى ،1418 ص113.

أما المرتكزات السياسية عند الخوارج والتي لا تخرج على القالب أو الإطار الديني كثيرا، وذلك راجع بالأساس إلى رغبنهم في إقامة الحكم الإلهي العادل وفقا لتصوراتهم كذلك شدة التدين الذي عرفوا به على أساس هذا المنطق يمكن القول بأن المرتكزات السياسية بجوهرها وماهيتها غير أنها دينية بتجلياتها ومنظراتها ومن أبرزها.

لا حكم إلا الله

يعتبر أسبق المرتكزات السياسية إلى ظهور من غيره فبرغم دلالته الدينية إلى أنه يعتبر سياسيا. وقد تمت المناداة به خلال حرب صفين فهذه العبارة تحمل في طياتها "أنها تعبر عن رفض الخوارج للتحكيم باعتباره من مشمولات أي من اختصاصات الله وحده ولا دخل للشر فيه..."[1]فحسبهم الله وحده هو المخول في تولي الحكم لكن السوؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يتم هذا التحكيم**!!**دون اللجوء إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وأما المرتكز الثاني فهو

عدم اشتراط قرشية الإمام: يعد من أكثر المرتكزات السياسية التي اشتهر بها الخوارج وذلك راجع لكونهم يخالفون به أغلب الأحزاب التي كانت على الساحة في تلك الفترة إذ أنهم

لا يرون في قرشية الإمام شرط رئيسيا،فهذا الاعتبار عندهم لا أساس له من الصحة عندهم وقد استندوا في ذلك على جملة من الحجج وهي أن القرآن الكريم لا يدل على ذلك لقوله تعالى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" سورة الحجرات الآية 13 وهذا حسبهم قول صريح من طرف الله سبحانه وتعالى ليدع أي مجال لشك في تبرير مايهدفون إليه ولم يكتفوا بالقرآن الكريم بل طعموا حجيتهم بكل دليل توفر لديهم فاستدلوا

1 –، الشهر ستاني ،الملل والنحل، تح أمير حن منها وعل حسن فاغور،ا دار المعرفة ،بيروت (لبنان) ،ط3، 1993، ج 1، ص132.

وكذلك من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم :"لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى "[1]

والرسول صلى الله عليه وسلم قد ولى على الأمم ممن غير قريش والولايات والإمارات متفرعة عن الإمارة العظمى فما جاز فيها جاز في فرعها، وما امتنع فيها امتنع عن فرعها

إذ يعتبرون هذه الأدلة المرتكز الرئيس من أجل دحض الحجة القائمة على عدم خروج الإمامة عن قريش واعتمدوا قاعدة سياسية ودينية في نفس الوقت وهذا إن دل إنما يدل اضطلاع السياسة بالدين عند الخوارج.

4- تكفير الخصوم:

لقد كان التفكير الذي مارسه الخوارج مرتكز "اساسيا في تشريعهم للقضاء على الخصم والفتك لكونه صار كافرا. وكان الذريعة أو الوسيلة التي يرفعونها ضد خصومهم وعلى الرغم مما ينطوي عليه من خلفية دينية، فإن جوهرة السياسي كان أكثر وضوحا وأكبر فعالية"[2] ولهذا يورد ضمن المرتكزات السياسية عند الخوارج

ولقد تعددت المرتكزات السياسية التي قام عليها الخوارج وتعتبر هذه المورد التي أسلفنا ذكرها نقطة من فيض البحر السياسي الذي قامت عليه الخوارج والتي في مجملها هي

- "الخروج ورفض التقية

1 -محمد بن إسماعيل البخاري صحيح البخاري ص 635.

2 - هشام البطاط الفكر السياسي عند الخوارج، ص 126.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- الولاية والبراءة
- المساواة في المجتمع الخارجي"[1] وكذلك نجد أسس تميزوا في طريقة طرحه وهو

3- الشورى:

لقد أمان الخوارج بالشورى وتمسكوا بها بشدة لأنها حسبهم أمر صريح من الله تعالى إسنادا إلى قوله تعالى "وأمرهم شورى بينهم"سورة الشورى الآية 32أي المسلمين كلهم ملزمون بتطبيق هذا الأمر للوصول إلى الحلول المثلى، ومن هذا المنظور فالشورى عند الخوارج إلزام ديني قبل أن تكون سياسي والمتأمل لتطبيق مبدأ الشورى عند الخوارج يجدها مختلفتا تماما عن بقية الأحزاب فالخوارج "يلزمون الجميع بالمشاركة في عملية الاختيار.. في حين أن الأحزاب الأخرى تجعلها مرتبطة بجماعة معينة"[2] وإذ نظرنا إلى الشورى بهذا المنظور فهي صعبة التطبيق إذ لم تقل مستحيلة ووجه الصعوبة يمكن في اتساع الرقعة الجغرافية والعدد الهائل من المسلمين، وهم أنفسهم وجدوا فيها صعوبة فبعد أن كانوا في حزب واحد تفرقوا إلى مجموعات أو أحزاب عديدة.

أشهر الفرق المتفرعة عنها، لقد اختلف المؤرخون في تحديد عددها حيث يورد البعض منهم على غرار البغددي" وأما الخوارج.. صارت عشرين فرقة وهذه أسماؤها: المحكمة الأزراقة، التجدات ثم الصفرية ثم العجاردة وقد افترقت بينها فرق كثيرة منها الحازمية والشيعية والمعلومية والمجهولية والمعبدية والراشيدية، والمكرمة والحمزية والإبراهيمية والفراقفة والإباضية..."[3] وعلى ضوء هذا القول نجد فرق أساسية مثلت الأساس النسبة للفرق الأخرى وهذه ا الأولى تعتبر المساهمة بشكل كبير في رسم صورة الخوارج على المستوى السياسية وهي :

1 نفس المرجع السابق، ص128 ، 129 130

2 ينظر عبد الرحمن الأيبري، الفرق الإسلامية بين القديم والحديث دار الحديث القاهرة، مركز التراث المغربي (الدار البيضاء) 2007، 1428، ص82

3 عبد القاهر البغدادي ،الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح محمد عثمان الخشن، مكتبة ابن سينا ا،لقاهرة (مصر) ،ط12ص 37.

1- المحكمة الأولى:

وهم أولوا من الذين خرجوا عن علي بن أبي طالب في موقعه صفين واجتمعوا وراءه من الناحية الكوفة، ويقدرون بحوالي أنني عشر ألف رجل أهل دين وكان مقتضى خروجهم لدواعي عديدة أهمها:

أن الإمام لا يحب أن تكون في قريش واشترطوا في خليفتهم العدل والمساواة حتى لو كان عبدا قريشيا.

والامر الثاني: إن عليا كفرا ولا يحوزلهم أن يبقوا تحت ولايته أو أمره –وهذا الأمر فيه نوع من المبالغة–وهم الذين قاتلهم في معركة النهروان[1].

وأما الفرقة الثانية فهم

الأزارقة: نسبة إلى "نافع بن الأزرق وهم الذين خرجوا إلى الأهواز من البصرة وكان ذلك في أيام عبد اللع بن الزبير وهم يعتبرون أشد الخوارج ميلا للعنف "[2] فلم يفرقوا في ذلك بين الرجل والمرأة بين الطفل والشيخ بين الصبي والمكلف وكانوا يقتلون دون استثناء وغيرها من الأمور التي عرفوا بها كتكفير الصحابة جميعا.

أما الفرقة الثالثة فهي:

النجدات: نسبة إلى نجدة بن عامر الحنفي وكان من أتباع ابن الأزرق غير أنه فارقه بعدما رأى شدته في التعامل مع الباقية المخالفين وقد استحلوا دماء أهل العهد والذمة ويعرفون كذلك بالعاذرية "لأنهم حذروا القاعد عن القتال وبذهب رأي آخر إلى أنهم سموا بذلك لأنهم عذروا الجاهل في أحكام

1 نفس االمصدر ،ص 75.

2 . نفس المصدر ،ص 77

الفروع "[1] ويعبرون وفق هذه المعطيات من الفرق الخارجية المعتدلة إن لم تقل المعتدلة على الإطلاق وتعتبر هده الفرق من أشهر الفرق التفرقة عن الحزب الخارجي .

المبحث الثالث: الحزب الشيعي.

يعرفهم الإمام الشهر ستاني بقوله "الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته لا نصا ووصية إ ما جليا وإما خفيا واعتقدوا أن الإمام لا تخرج عنه ونسله من بعده "ي[2]تضح من خلال هذه التعريف أن التشيع اقترن بعلي بن أبي طالب وأولاده من بعده ولقد اختلف الباحثون في تحديد مخلفات التشبع التي أدت به إلى الطهور فهو تراكم لحماية من العوامل التاريخية فكانت البداية " بموقعه سقيفة بني سعد والتي لم يكن حاضر فيها ...على وموقعه صفين والتي مثلها كبار الصحابة من أمثال عمار بن ياسر مرورا بإخلال معاوية بن أبي سفيان بمعاهدة عام الجماعة وتوريثه الحكم لابنه وطهور من يندون بالحسين كخليفة شرعي" [3]

ومن هنا يظهر لنا أن التشبع مر بجملة من المراحل ساهمت في بلورته ولكن النقطة الفيصل التي أعطته صيغة جديدة ومكنته من الظهور إلى السطح الساحة السياسية.

ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما في كربلاء فهي ركيزة هامة يستندون عليها في بناء معتقداتهم السياسي والديني إذ ثم تحويله إلى قصة ملحمة قريبة من أسطورة الهولوكست اليهودية في التوظيف السياسي والاجتماعي وأما قصة مقتله رضي الله عنه والأحداث التي سبقة استشهاده فهي " بعد أن استقرت ألخلاقه لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه واستقرت الأمور بين البيتين الهاشمي والأموي حتى أن الحسين شارك في الجيش الذي بعثه معاوية لغزو القسطنطينية بقيادة أبنه يزيد و 49هـ ولكن الأمور توترت وعاد الخلاف إلى سالف عهده عندما قام معاوية بأخذ البيعة لابنه يزيد

1 – ، الشهر ستاني ،الملل والنحل ،ص 121. 124.

[2] ـنقس المصدر ، ص 126

3 –مصطفى الشيعي الصلة بين التصوف ،دار المعارف ،مصر،ط2.دت ص19 20 21

في حياته وهذا اعتبره بعض الصحابة خروجا عن الاتفاق المبرم بينه وبين الحسين وتركزت المعارضة بشكل قوي في الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وبنسبة وأقل عبد الله بن عمر وابن عباس وبعد وفاة معاوية رضي الله عنه وخلفه ابنه يزيد الذي بعث إلى واليه بالمدينة لأخذ البيعة من الحسن ومن رفض بيعته في حياة أبيه فأبيعه عبد الله عمر و ابن عباس وامتنع الحسين وعبد الله بن الزبير.

فبلغ أهل العراق أن الحسين لم يبالغ يزيد فأرسلوا إليه الرسل والكتب يدعونه إلى البيعة وذلك لأنهم لا يريدون يزيد ولا أباه كثره الرسائل وزاد الإلحاح ووعود أهل الكوفة بالنصرة والتأيد عند ذلك أرسل الحسين مسلم بن عقيل.

ليتقص له الحقائق وتيقن بصدقهم فأبعه وأخذ منهم البيعة للحسين وأرسل يطلب مجيئه ولما علم يزيد بما يدور في الكوفة عزل وليها وولى مكانه عبيد الله بن زياد واتبع معهم سياسة الترغيب والترهيب،واشترى ولاء البعض منهم ببذل الأموال وأرهب البعض الأخر.فانفض الآلاف من أهل الكوفة من حول مسلم فتركوه يلقى مصرعه وحده بعد أن قبض عليه ابن زياد.

خرج الحسين غير عالم بمقتل مسلم من مكة.ولما كان بالقادسية بلغه الخبر وعلم بتخاذل أهل الكوفة فأراد الرجوع إلى مكة لكن أخوة مسلم أصروا على المضي قدما لأخذ بثأره،فلم يحد الحسين إلا السر معهم.فلما وصل كربلاء وجد بها جيش بكبير في انتظاره.في حين كان مع الحسين نحو تسعين نفسا.وتفرق عنه الشيعة من أهل الكوفة ولم يوفوا بوعدهم له وخانوه وأسلموه للقتل.

في العاشر من محرم كانت المعركة.فقتل من كان مع الحسين واحد بعد الأخر وهم ملتفون حوله لحمايته حتى سقط شهيدا.ثم قطع رأسه وأرسل إلى عبيد بن الله بن زياد والذي أرسله بدوره إلى يزيد بن معاوية.[1]

1ـ فاصل الربيعي ،المناحات العظيمة:الجذور التاريخية لطقوس البكاء في الجاهلية، عد أول لنشر والتوزيع.الكويت.ط الأول .2001. ص 233. 234.

الأسس والعقائدية:

1. الإمامة:

تمثل "الحجر الأساسي في المذهب الشيعي"[1] فهم يعتقدون أن الخلافة لعلي رضي الله عنه بعد رسول الله عليه وسلم ولعل من أبرز مستنداتهم "تلك التلميحات المباشرة في الموقع يسمى غدير خم بعد رجوعه من حجه الوداع قائلا"من كنت مولاه فهذا على مولاه.اللهم وال من والاه وعباد من عاداه"[2] ولا يقتصرون على علي فقط وإنما من جاء من أولاده وأحفاده وهم على التوالي

1-الحسن بن علي

2-الحسين بن علي

3-زين العابدين بن الحسين

4-محمد بن على زين العابدين

5-جعفر بن محمد الباقر

6-موسى بن جعفر الصادق

7-على بن جعفر الصادق

9-على الهادي بن محمد الجواد

10-الحسن العسكري بن علي الهادي

11-محمد الهادي بن الحسن العسكري وهذا استثناء يعرف أو يلقب (الغائب)

1 ، محمد زيتوني،هشام داود الغنجة ،سلسلة مذاهب وأديان الشيعةِ. دار بلقيس الدار البيضاء(الجزائر) .د.ط.د ت.ص.121.

2 محمد بن عيسى الترميذي ،سنن الترميذي.،.ت ح عبد الرحمن محمد بن عثمان.دار الفكر بيروت الطبقة الثانية 1983/1403. ص 842.

ونجد كذلك من المعتقدات

التقية: والتي تعرف في ابسط معانيها"أن يخالف القول العمل أو هي إظهار الشخص خلاف ما يبطن"[1] وهي إن جاز القول رخصة عند الضرورة لرفع الضرر.ويعتبرونها الأصل الأصيل في الإيمان حسبهم ووصل بهم الحد إلى القول بأن سكوت الإمام علي عن المطالب بحقه في الخلافة أما بقية الخلفاء تقية.

3-عقيدة الغيبة: وهي 'تفيد "أن الإمام بعد موته إنه لم يمت وتقول بخروجه واختبائه عن الناس.وعودته في الظهور مستقبلا ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا.ويزعمون أنه دخل سرديا في جبل ر ضوى."[2]

الرجعة: ومعناها "الرجوع إلى الدنيا بعد الموت وقال الشيعة كثيرا برجوع أئمتهم إلى هذه الحياةبعد موتهم ثم رجعتهم والذين يقرون برجعتهم هم الرسول صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومن بعده الأئمة المعصومين"3. وتميز هذه العقائد تعبيرا عن المغالاة الشديدة في الوفاء لأهل البيت.

وقد انبثقت عن الحرب الشيعي على عدة فرق ولعل أهمها.

الكسيانية: "ناصر أهلها محمد بن الحنيفية أصغر أبناء علي بن أبي طالب من غير فاطمة الزهراء.وقد اعتقدوا فيه فوق حده ودرجته فأحطوه بالعلوم كلها وأنه اقتبس أو أخذ عن الحسن والحسين الأسرار السماوية وكذلك علم التأويل والباطن... ثم قالوا بعد ذلك في حقه في الإمامة وضرورة الطاعة له"[3]

1- يسليمان مظهر ،قصة الديانات.،ص 485

2- . هشام دواد الغنجة ،محمد زيتوني ، سلسلة مذاهب وأديان (الشيعة) ،ص 123.

3 سليمان مظهر ،قصة الديانات، ، ص 540

وقد قاد المختار الثقافي حملة لمناصرة محمد بن الحنيفية واعتبروه الوريث الشرعي للإمامة بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين وكان يدعو له جهرا وسرا. ولكن محمد بن الحنيفية قد تبرأ منه بعدما علم بما يحطه به من خرافات وأساطير تفوق حد الخيال.

وقد قامت منظومتهم السياسية على جملة من العقائد لعل من ابرزها "المهدية، والرجعة والبدء"[1] ويعتبر أول من قال بهذه المعتقدات.

الزيدية:

هم إتباع "زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، جعلوا الإمامة مقصورة على نسل فاطمة الزهراء ولم يجزوها أو يثبتوها في غيرهم ولكن في مقابل أجزوا لمن تتوفر فيه شروط معينة منها الشجاعة والعلم والخروج بالإمامة"2، وأن يكون إماما واجب الطاعة،

ولقد خرجوا بجملة من الأقول ولعل أبرزها وأقواها هو "قولهم بإمامة المفصول مع وجود الأفضل"[2] فهم بخلاف جميع الفرق الممثلة للحزب الشيعي يقرون بأن خلافة كل من أبي بكر وعمرو بن الخطاب صحيحة فعلي حسبهم كان عليا شابا ودم القريشيين ما زال يقطر من سيفه وهو بذلك غير مستعد لتولي شؤون الحكم في تلك الفترة، وقد ادلو بدلوهم في الأمور الدينية وقالوا "وقالوا بأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ما لم يثبت توبته ثبوتا نصوحا[3] " ومن مطلق هذه الأقوال جاز القول أن الزيديه هي أكثر الشيعة

1نفس المرجع ، ص 541، 542

2 الشهر ستاني الملل والنحل، ،ج1 وص 175

3 المصدر نفسه، ص178.

-الحزب الزيري:

يتعبر امتداد لخروج أهل المدينة، خروج الحسين بن علي، ممثل في شخص عبد الله بن الزبير مستغلا النقمة الشديدة على يزيد بن معاوية بعد حادثة كربلاء والفراغ السياسي الذي تركته وفاة معاوية بن أبي سفيان.

واتخذ عبد الله المدينة منطلقا لحزبه لجملة من العوامل وهي أنه المكان الوحيد الذي يمكن اللجوء إليه في تلك الفترة لأن الأقاليم الأخرى وببسطة" تحت حكم الأمويين وكانت معارضة فلا وجود لأي ضمان لولاء أهلها"[1] وخير دليل حادثة مقتل الحسين في كربلاء وكذلك لاعتبارات دينية. "فحرمة مكة فوق كل الحدود ولا يجوز سفك الدماء فيها"[2]

ووجود هذا الأخير يجعل من اليزيد لا يفكر في القوة أبدا إضافة موسم الحج الذي يمكنه من إيصال مدى سياسته إلى قدر كبير من المجتمع"[3] دون عناء التنقل، وكذلك ارتباطه بأهل المدينة حيث يمكنه البقاء قريبا منهم دون عناء وهذه الاعتبارات لا يمكن أن تتوفر في أي إقليم آخر. ودعا ابن الزبير أعيان تهامة والحجاز إلى بيعته، وتحقق له ما أراد وطرد عامل يزيد بن معاوية من مكة والمدينة وفي خضم تسارع الأحدا ث حاول" يزيد بن معاوية كسب ود عبد الله بن الزبير وعرض عليه ولاية الحجاز وما شاء،وما أحب لأهل بيته من الولاية وهذا المقترح قبل من طرف عبد الله بن الزبير بالرفض من أصله"[4]

فرأي يزيد أن يغير من سياسته وأنه لا مفر من القيام بعمل عسكري يكون الغرض الرئيسي من وراءه القضاء على عبد الله أو حمله على الامتثال لطاعة يزيد علىّ أقل تقدير..وكتب يزيد إلى

1 محمد سهيل طقوش تاريخ الدولة الأموية،.ص62.

2 المرجع نفسه، ص 64.

3 المرجع نفسه ص 65.

4 ، علي محمد الصلابي عصر الدولتين الاموية والعباسية وظهور فكر الخوارج ، ،ص26

عمرو من سعيد بن العاص واليه أن يوجه له جندا فعين سعيد بن العاص على رأس هذه الحملة عمرو بن الزبير أخو عبد الله بن الزبير وكان يكن عدواة شديدة لأخيه وقام بضرب كل من يتعاطف مع ابن الزبير واتجه الجيش إلى مكة وكان قوامه ألف رجل وأرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه يطلب منه الامتثال ليمين يزيد بن معاوية وحذره من القتال في البلد الحرام وقام عبد الله بحملة من المنورات العسكرية"[1]

واستفادعبد الله كثيرا من هذه الحرب وجعلته بكسب المزيد من التأيد لصالحه وأهم النقاط التي استند عليها عبد الله بن الزبير هي عزو مكة فمكة لما "حرمتها وخصوصيتها من الجاهلية عند العرب.فأصبح المساس بحرمة مكة أمرا لا يوافق عليه الصحابة ولا التابعون وكان لابد من الدفاع عن مكة،وأصبحت هذه القضية الوتر الحساس الذي كان له الأثر البالغ في تعظيم مكانة ابن الزبير الأمر الذي جعله يحقق نصرا ساحقا وسهلا على جيش عمرو بن الزبير"[2]

ولكن يزيد لم يستسلم للأمر الواقع وأرسل "حملة ثانية بقيادة مسلم بن عقبة النميرى لكنه هلك في طريقته لابن الزبير وعهد بالقيادة من بعده إلى الحسين ابن نمير السكوني ووصل بالفعل زحفه نحو مكة وعسكر بالقرب منها وفرض عليها حصرا مركزا.ولكنه لم يستطع اختراق أسوارها بفعل المقاومة الشديدة من طرف أهل مكة وانضمام أطراف تحت لواء ابن الزبير كالخوارج والزعيم الشيعي المختارين أبي عبيد الله الثقفي وهذا ما أدى بالحصين إلى ضرب مكة بالمنجنيق "[3] وهذه الحادثة كانت عواقبها وخيمة.

حيث أن الكعبة احترقت وهدم جزء غير يسر منها وهذه الحادثة سجلتها كتب التاريخ كنقطة سوداء في تاريخ الدولة الأموية وفي خضم الحرب وصل نعي اليزيد وأدرك الحصين أن موازين

1 نفس المرجع السابق ص 27
2 نفس المرجع السابق ص 29.
3 نفس المرجع السابق ص 30

القوى لم تعد في يد الأمويون وبالتالي أراد استغلال الموقف وعرض على ابن الزبير الخلافة لكنه رفض ويمكن القول أن ابن الزبير فوت على نفسه فرصة كبيرة للانقضاض على الخلافة.

ولكن رؤية عبد الله بن الزبير في رفض مقترح الحصين كانت تسند على حملة من الآراء وهي أن الحصين"لا يمثل أي جهة رسمية من طرف الأمويون ورغم أنه كان قائدا الجند من الشام لكن كيف يثق بقائد حملة كان يقاتله قبل أيام ويريد أن يفتك به وكذلك عدم وجود أنصار في بلاد الشام يعتمد عليه وينصرونه كما هو الحال في الحجاز فأهل الشام يدينون بالولاء المتقطع النظير للبيت الأموي"[1] وليس بالسهولة أن ينقلبوا عليهم في ليلة وضحها.

عدم وجود جيش منظم يستند عليه ابن الزبير وكل ما يمتلكه يمكن تسميته بالمدافعين عن مكة في الشدة ويفترقون عند زوالها.

وانتقلت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان واستطاع أن يقضي على ابن الزبير حيث انتهج خطة ذكية تمثلت في أول الأمر بالقضاء على أخيه مصعب بن الزبير الذي كان متمركزا في العراق واتبع مع هذا الأخير سياسة تتم عن دهاء كبير فعمل عن استمال عدد كبير من جيشه عن طريق مراسلهم ولم يخف هذا الأمر على مصعب لكنه لم يتخذ أي قرار لكي لا يحدث شرحا وسط صفوفه والتقى "الجيشين على نهر الدجيل عند دير الجائليق بمسكن عامه"[2]

وأسفر اللقاء على انتصار وضح للجيش الأموي وقتل مصعب في المعركة ودخل عبد الملك الكوفة على إثر هذا الانتصار ولم يضيع عبد الملك فرصة قطف ثمار هذا الانتصار وأسرع بارسال "جيشه إلى الحجاز بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي ليوجه عبد الله بن الزبير الضربة القاضية وحاصر

1 ينظر عبد عون البروضان موسوعة تاريخ العرب تاريخ/ممالك/دول/دول/حضارة.عبد عون البروضان الأهلية لنشر والتوزيع الأولى.2004.ص65.
2 ينظر.نفس المرجع. ص66.67.

الحجاج مكة وتأزم وضع ابن الزبير بعد أن فقد أبرز دعمه وكذلك انقضاض أتباعه من حوله نتيجة منح الحجاج الأمان لهم"[1]

1 ينظر نفس المرجع،ص 71.72.

خاتمة .

وفي خاتمة بحثنا خرجنا بجملة من النتائج وهي غلبة النزعة الإيديولوجية في أثناء إنتاجهم لخطبهم ، فلقد جعلوا منها وعاء لتمرير إيديولوجيتهم لجمهور المتلقين وهذا ما نلمسه على سبيل المثال لا الحصر عند معاوية بن أبي سفيان عندما ألقى خطبته في صفوف أهل المدينة فلقد أبرز لهم ما يحمله اتجاه الخلفاء السابقين من أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ورفضه الاعتراف بخلافة علي بن أبي طالب ، وعرض عليهم سياسته التي يدير بها الحكم .في أسلوب مباشر استغنى فيه جملة وتفصيلا عن الأساليب الفنية التي عرف بها وهذا راجع لطبيعة الموقف الذي وقفه معاوية ، فهو موقف يستدعي الوضوح والبساطة في الطرح . والأمر نفسه نجده عند خطيب الخوارج أبو حمزة الخارجي الذي غلبة عليه النزعة الأيديولوجية في سرده لخطبته عل جمهور المتلقين فعمل على توضيح مايعتقده هو وأصحابه في كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، وبعدهم معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد وجل الخلفاء الأمويون الذين جاءوا بعده .

والاستثناء الذي كانت فيه النزعة الفنية غالبة على النزعة الإيديولوجية هو في خطبة قطري بن الفجاءة في معرض حديثه عن رأي الخوارج في الدنيا والتي عمل على تصويرها بصور فنية عديدة ومتعددة، جذبت إليها الأبصار وخشعت لها القلوب

ومن هذا المنطلق نجد أن الإيديولوجية التي تبنها كل حزب من الأحزاب المتصارعة على السلطة في عصر بني أمية كان لها الاثر البالغ في عملية إنتاج الخطابة مع غياب شبه كلي للأساليب الفنية التي كانت معهودة على الانسان العربي منذ العصر الجاهلي .

فهرس الموضوعات

المقدمة ..... أ،ب ،ج ،د،ه

المدخل :الايدولوجيا المفاهيم والأنواع 2-10

الفصل الأول: طبيعة الحياة السياسية وظهور الأحزاب .

المبحث الأول : الحزب الأموي 12-20

المبحث الثاني : الحزب الخارجي 21-29

المبحث الثالث : الحزب الشيعي ..... 29 -34

المبحث الرابع : الحزب الزبيري 35-38

الفصل الثاني :تطورات الخطابة في التراث العربي

المبحث الأول : الخطابة في العصر الجاهلي 40-46

المبحث الثاني : الخطابة في عصر صدر الإسلام.....47-52

المبحث الثالث : الخطابة في عهد الخلفاء الراشدين 52-60

المبحث الرابع : الخطابة في عصر بني أمية .....60 – 67

الفصل الثالث : دراسة تطبيقية

معاوية بن أبي سفيان 69-72

خطبة زياد بن أبيه.....73-78

خطبة الحجاج بن يوسف الثقافي 79-82

خطبة أبو حمزة الخارجي.....83-88

خطبة قطري بن الفجاءة 89-91

خطبة لعبد الله بن الزبير 92-97

خطبة الحسين بن علي .....94 -97
خطبة عبد الله المري .....98 -99
الخاتمة 101
قائمة المصادر والمراجع 103- 106
فهرس الموضوعات 108-109